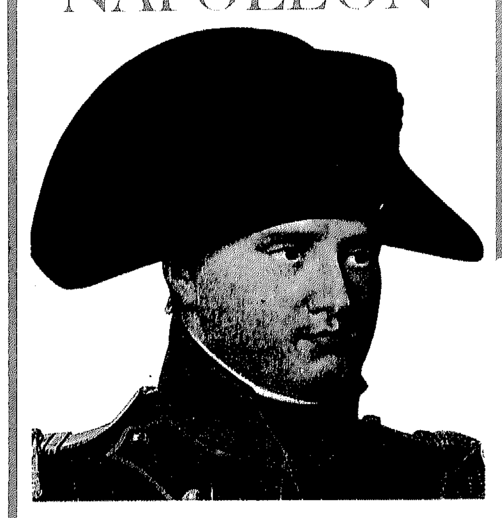
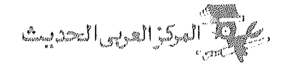


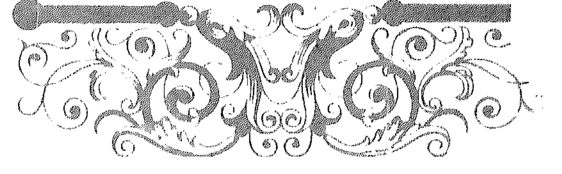
٣

نابليون بونابرت



يوسف سعد







عظماء من العالم

نابليون بونابرت

يوسف سعد يوسف
موجه أول بوزارة التربية والتعليم

المركز العربي الحديث
١٠٣ شارع الإمام علي ميدان الإسماعيلية مصر الجديدة
ت ٢٦٠٦٤١١

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

الأمبراطور نابليون الأول



ولد نابليون في مدينة أجـاكسيو ajaiccio عاصمة كورسيكا في ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ ويدعى أبوه كارلو مايريادي بونابرت وهو من أسرة أصلها إيطالي وكانت جزيرة كورسيكا تابعة لجمهورية جنوه واستولت عليها فرنسا ١٧٦٨ أي قبل ولادة نابليون بعام فهو إيطالي الأصل فرنسي المولد .

نشأة نابليون بونابرت

كان بونابرت أحد نبلاء ايطاليا الذين يسكنون جزيرة كورسيكا التي استعمرتها فرنسا من إيطاليا ولم يحصل من العلم إلا قليلاً وعندما بلغت زوجته ليتشيا الثلاثين من عمرها كانت قد أنجبت من بونابرت الذي تزوج مبكراً ثمانية أبناء خمس من الأبناء وثلاث من البنات . وجدير بالذكر أن تربية ثمانية من الأولاد أمر ليس باليسير ولهذا كان الأطفال يسمعون كل يوم حديث النقود مما دفعه إلى الإشتغال في خدمة فرنسا ، الدولة التي استعمرت وطنه الصغير عشر سنوات متعاقبه فكان أن أصدر ملك فرنسا لويس السادس

عشر أمراً بأن يعلم اثنين من أولاده بإعطائهم منحة مجانية في مدارس النبلاء على أن يتخرج أحدهما كاهناً والآخر ضابطاً .

وهكذا وقع اختيار بونابرت على يوسف أكبر أبنائه ليكون كاهناً وعلى نابليون ليكون ضابطاً .

وهكذا بدأ نابليون حياته العسكرية بأن التحق بمدرسة برين الحربية المتوسطة وعندما أنهى دراسته العسكرية بها التحق بالمدرسة الحربية العليا بباريس .

وجدير بالذكر أن نابليون قد ورث عن أبيه بونابرت خياله الواسع ومهارته الفائقة كما ورث عن أمه ليتثيا الشجاعة والزهو .

وإذا أردنا أن نلقي ضوءاً على شخصية نابليون فما علينا إلا أن نلمّ بشيء عن أسلوبه في مدرسة برين الحربية خلال إقامته الدائمة في داخلية هذه المدرسة فكان نابليون يميل إلى العزلة ويقرأ في صمت قراءة واعية ويميل إلى تحليل كل ما يقرؤه ولا يحب أن يزعجه أحد خلال قراءاته وكان متفوقاً على اقرانه ناضجاً مثقفا عمره العقلي يزيد كثيراً عن عمره

الزمني متقدماً لا سيا في الرياضيات والتاريخ والجغرافية وهي مواد تستهوي الذهن المتفتق والعين اللماحة قرأ كثيراً من كتب التاريخ والتهم كتب فولتير وجان جاك روسو فكان دائم البحث والاطلاع ينزع إلى العزلة يبدو متكبراً حاسماً في مناقشاته مع زملائه قليل الكلام محباً لذاته طموحاً بغير حدود .

قال عنه أساتذته بمدرسة برين « إن هذا الغلام قد نحت من صوان لكنه ينطوي على بركان ثـائـر » أما أترابه من طلبه المدرسة الحربية فكانوا يرون أنه نصف متوحش فقيراً رغم أنتمائه إلى النبلاء لا يلم بالفرنسية جيداً .

ومن الطريف أن أخاه الأكبر يوسف أراد أن يستبدل الكهنوت بالعسكرية ومعنى ذلك أن يأخذ نابليون منحة الكهنوت بينما يوسف المنحة العسكرية فرد عليه نابليون ولم يكن قد أكمل الخمس عشرة عـامًـا « إنـك لن تفلح في الحربية لضعفك في الرياضيات ولا طاقة لك بالمدفعيه لأنك لن تتمكن من أن تتحمل أعباءها » . وتم تعيين نابليون في وظيفة الملازم ثان وعمره سته عشر عاماً وعندما تخرج نابليون في المدرسة

الحربيه العليا في باريس انضم إلى فرقته في ڤالنس مرتدياً سترته العسكريه الجديدة وقد تبرمّ بحياة المعسكر فكان لزاماً عليه أن يرتاد المجتمع وأن يدرس فن الرقص للتسليه والترويح عن النفس أسوة بزملائه ولكن شعوره بأن مستواه المادي أقل من زملائه كان دافعاً له للعدول عن هذه الأفكار فكان يلجأ إلى طبيعته التي جُبل عليها وهي الاطلاع على الكتب والمراجع فانكب على دراسة المراجع المختلفة في المدفعية وتاريخها وأساليب الحصار كما اطلع على جمهورية افلاطون ودستور الفرس ودستور اسبرطه واستهوته دراسة التاريخ فقرأ عن تاريخ انجلترا وحروبها وتاريخ مصر والهند والصين وسويسرا كما التهم بعض المراجع في علم الجغرافيا وبصفة خاصة تلك التي تبحث في الظواهر الجوية . وكان يلخص هذه الكتب في كراسات بلغت صفحاتها أربعمائه صفحة .

وكان نابليون يهدف إلى تخليص جزيرة كورسيكا من الاستعمار الفرنسي ووضع عصارة فكره في مفكرته اليومية التي لو وقعت في يد أحد رؤسائة الفرنسين لقضى عليه ولو بإشارة سريعة ذكرها نابليون في مفكرته كان من الممكن أن

تكشف عليه الأفكار التي كانت تجول في نفسية نابليون ومن خلالها يسهل تحليل شخصيته فقد ذكر في هذه المفكرة أن هناك اثنى عشر دوله ملكية في قارة أوربا يعتلى عرشها اثنى عشرة ملكاً يستحق معظمهم الخلع من كرسي العرش .

ويلعب القدر دوره في حياة نابليون عندما حل شهر يونيو سنه ١٧٨٩ فإذا بنابليون يرسل خطاباً إلى الجنرال پاولي يبدو من أسلوبه شدة ثقتة بنفسه حيث اشتملت سطوره أنه سوف يغير وجه التاريخ ورد عليه باولي أنه لا ينبغي للشبان أن يخطوا حوادث التاريخ .

وشاء القدر بعد شهر واحد من هذا الخطاب أن ـ يقتحم الشبان سجن الباستيل في باريس وتبدأ أحداث الثورة الفرنسية التي كان شعارها الحرية والإخاء والمساواة فتوجه نابليون مسرعاً إلى جزيرة كورسيكا ـ حاملاً شارة الثورة ومعتنقاً مبادئها ولم يكن نابليون ـ الذي لم يتعد عمره العشرين ربيعاً ـ يرى في نفسه الا بطلاً لينقذ الجزيرة من الاستعمار الفرنسي الذي جثم على صدر كورسيكا قبل أن يولد

نابليون بعام واحد وسار نابليون بخطى سريعة حتى .بلغ ميدانها الرئيسي ولكن استرعى انتباهه أن جنود لويس السادس عشر ملك فرنسا يسرقون الثوار بعد تجريدهم من أسلحتهم فأرسل شكوى إلى الجمعية الوطنية في باريس يؤكد فيها مبادىء الثورة ويطالب بتسليح أبناء الجزيرة ووصل نابليون رد الجمعية بعد عدة أسابيع ومنه يتضح أن الجمعيه ترى أن كورسيكا إن هي الإ اقليم فرنسي له جميع حقوق سائر الأقاليم الفرنسية وان ميرابو قد أصدر أوامره بالافراج عن پاولي ومن معه من المجاهدين وتقابل نابليون مع پاولى القائد المسن وعرض عليه تخليص كورسيكا من الإستعمار الفرنسي فرد عليه پاولي بنظرة تنطوي على الاعجاب المشوب بالذعر لا سيما عندما قال له نابليون « إن العظماء الحقيقيين كالشهب تلمع وتحترق لتضيء الأرض » وتم إجراء الانتخابات في كورسيكا أسفرت عن اختيار نابليون قائداً للجزيرة ولم يكن نابليون يريد أن تقيله فرنسا من منصبه فكتب إلى ڤالنس « إن مركز الشرف للكورسيكي الصميم في هذه الأوقات العصيبة هو ما تولاه في وطنه من

قيادة الجزيرة ولذلك يستبقيني أهلي ونظراً لأنني لا أريد التقصير في واجبي ففي نيتي أن أقدم استقالتي » ولكن حقيقة الأمر أن نابليون لم يقدم استقالته وقد وصف فرنسا في خطابه بقوله « أمتكم » فشطبت فرنسا اسمه من قائمه الجيش وبهذا اصبح نابليون مغامراً مما دفعه إلى اشعال نار الحرب الأهليه بين أهالي كورسيكا وبين الحرس الفرنسي بها يوم عيد الفصح ولكن لم يقدر لنابليون أن ينجح في الاستيلاء على الحصن واتهمه الفرنسيون بالخيانه العظمى فأسرع باولي إلى إعلان ولائه لفرنسا وعزل نابليون ابن صديقه بونابرت ولكن انضم باولي إلى صفوف الراديكاليين ومنح نابليون ترقية إلى رتبة اليوزباشي فصدر الأمر من باريس بالقبض على باولي وحاول نابليون القضاء على باولي ففشل وأصدر مجلس الشعب قراراً بإبعاد أسرة بونابرت عن الجزيرة كلها وطرد أهل الجزيرة بونابرت لميوله الفرنسيه فاتجه نابليون إلى فرنسا وكان عمره ثلاث وعشرون عاماً .

هذا ويبتسم الحظ ليوسف الأنيق شقيق نابليون فيتزوج بوريثة متجر كبير لتجارة الحرير في مرسليا ويفكر نابليون

في أن يتزوج يـزريـه أختها أما لوسيان شقيقه فقد وصف نابليون بالطموح الذي ينزع إلى الطغيان ويقول عنه أنه لو أصبح ملكاً لتحول إلى طاغية . وكان أغنياء طولون ومرسليا يخشون أن يرسل روبسبيير قائد الثورة الفرنسية بهم إلى المقصلة فيفصل رءوسهم عن أجسادهم ولذلك كانوا يستخدمون أعداء فرنسا من الانجليز ويعطونهم بعض السفن الحربية للدفاع عنهم ولما وجد نابليون أن القوات الإنجليزية تحيط بميناء طولون جمع حوالي مائه مدفع ثم تقدم بشكوى ضد رئيسه رغم أنه (يوزباش) في الرابعة والعشرين منفذاً أسلوب رئيسه مطالباً بتوحيد القيادة وضرب ميناء طولون ضربات شديدة التركيز حتى يحدث ثغرة فيختل توازن العدو فوافقت الهئية المركزية على أسلوب نابليون في القتال وقاد الهجوم بنفسه فمزقت طلقات الإنجليز جواد نابليون وأصيب نابليون في بطن ساقه وكان هذا أول وآخر جرح يصيبه خلال حياته الحربيه بعد ذلك ولعل نابليون قد أصاب كبد الحقيقة حين خطـط لهـذه المعركة لأن الثغرة حدثت فعلاً كما توقع فلم يكن للإنجليز ما يحمي ظهورهم فانسحبوا فوق كتل

من الجثث ليرتفع نجم نابليون في سماء فرنسا فأقامت باريس احتفالاً بتحرير طولون ومن الطريف أن رئيس نابليون أرسل تقريراً إلى الجمعية العامة يشيد بأسلوب نابليون ونجاحه في خطته . وكان لنجاح نابليون في معركته مع الإنجليز في طولون أن قامت الجمعية بتكليفه بتحصين شاطىء فرنسا بأكمله من طولون إلى نيس ولما وصل نابليون إلى نيس تم القبض عليه حيث اتهمه الفرنسيون بالتواطؤ مع روبسير الذي قتل بنفس المقصلة التي قتل بها عشرات الآلاف من الأبرياء وهيأ له بعضهم سبيل الهرب لكنه رفض لأن هروبه ، يسجل عليه تواطئه مع روبسيير للفتك بجيش الجنوب ولكن الجمعيه اطلقت سراحه بعد اسبوع من اعتقاله .

وكان نابليون قائداً متعطلاً إلى أن تغيرت الأمور في فرنسا وتولى وزير جديد وزارة الحربيه وكان دائم البحث عن قائد يحارب في الميدان الايطالي ليهدد النمسا ويرغم امبراطور النمسا على عقد صلح كما تشاء فرنسا ورشح له بعض أعوانه نابليون كرجل الساعة القدير ويستقبل الوزير

نابليون ويطلب منه الخطه في محاربه العدو وبعد نصف ساعة فقط كان قد قدم الخطوط العريضه والتفاصيل الدقيقة للمعركة المتوقعة أمام وزير الحربية الذي كان تعليقه إنها ممتازة وتدل على مهارة رائعة في التفكير ولكن مشكلتها في صعوبة التنفيذ وقال الوزير عن نابليون « إن هذا الرأس يجب أن يكون في قسم العمليات » وكان نابليون قد بلغ السادسة والعشرين من عمره . وطلب نابليون نقله إلى تركيا لتنفيذ خطته الحربيه ضد الروسيا والنمسا ولكن منافسيه لجأوا مرة أخرى إلى شطب أسمه من قوائم الجيش ولكن عندما قام نزاع بين الحكومة والمعتدلين الذين يسندهم الملكيون زادت قوات الحرس الأهلي إلى أربعه أمثال قوات الحكومة واصبحت الجمعيه بلا حماة لها فهرع نابليون إليها وقال كلمة قصيرة لأعضاء الجمعية التي أصدرت قرارها لنابليون بالدفاع عن الحكومة فاشترط نابليون لكي يدافع عن الجمعية الا يشاركه أحد في السلطة إلا بازاس فقط لأنه طوع يديه وكان صدور القرار لنابليون بالحماية بعد اسبوعين فقط من طرده من الجيش .

وسرعان ما نجح نابليون في تحويل الجمعية إلى حصن وعندما جاء الشعب ليهاجم الجمعية أمر نابليون باطلاق نيران المدفعية عليهم فقتل ثلاثين وجرح ستين من الشعب كما تم تجريد بقية المهاجمين من أسلحتهم وعاد الهدوء والسكون إلى الشوارع بعد أن اكتست أرضية الشارع المحيطة بالجمعية باللون الأرجواني .

ثم ما لبث نابليون بعد هذا النصر أن وقف فوق منبر الجمعية ومعه ضباطه وسط عاصفة من التصفيق وتم تعيين نابليون قائدا عاماً لجيش فرنسا كله وزاد اتباعه من العسكرين ولكن الجمهور كان ينظر إلى نابليون نظره الحقد والكراهية .

وإذا أردنا أن نلقي بعض الضوء على أسرة نابليون ففي كلمات خاطفة يمكن أن نقول إن أخويه الصغيرين قد حصلا على مراكز ممتازة وأن أمه قد بدأت تعيش في مستوى اقتصادي مرتفع وإن نابليون ألح على أخيه يوسف ليتزوج يزيريه شقيقة زوجته التي رفضته مما دفع نـابليون إلى التقدم

لفتاه كورسيكية نبيله تكبره في السن ولم يكن ردها بأحسن من رد يزيريه فاضطر إلى التقدم لحسناء فرنسيـة تكبره سناً فرفضتـه هي الأخرى . وفي هـذه اللحظات شاءت الظروف عندما أمر نابليون بمصادرة جميع الأسلحة لدي الشعب الفرنسي أن جاءه غلام في الثانية عشر من عمره يطلب من نابليون أن يرد إليه سيف أبيه الذي قتل فيعطيه نابليون السيف فتأتي جوزفين أم هذا الصبي - والتي كان زوجها ملكياً وأعدم وأودعت هي السجن حتى قتل روبسيير فأخرجوها من السجن لتشكر نابليون على منحه السيف لابنها وكان جمالها أخاذاً حرك مكامن الشعور في شخص نابليون فأرسل لها الخطابات الملتهبه وعرض عليها الزواج والجدير بالذكر أن نابليون لم يطلعها على خططه السريه وتزوجها نابليون وكانت تكبره في السن حيث كان عمرها ثلاث وثلاثون عاماً فاظطر نابليون أن يغالط في سنه حتى يكون أكبر منها سناً فبدأ زواجهما بتـاريخين مزورين حيث ادعت أنهـا في الثـامنة والعشرين وكان لديها طفلان من زوجها الأول .

وتم تكليف نابليون بمحاربة ايطاليا ورغم أنه لم يكن لدي نابليون في دلك الوقت سوى أربع وعشرون مدفعاً وأربعة آلاف حصان مريض ومؤن تكفي ثلاثين ألفا من الجنود لمدة شهر بحيث لا يعطي الجندي سوى نصف تعيينه الذي اعتاده أقول رغم كل هذا فقد وعد جنوده بالنصر فاجتاز نابليون ـ الممرات الضيقة وهاجم بكل قوته الجيش الذي يقوده ملك سردينيا واضطر إلى الموافقة على الهدنة مع نابليون التي تنازل بمقتضاها لنابليون على كل ماينبت في أرضه وعندما واجه عدوه الآخر القائد النمسوي بوليبيه وعمره ٧٢ سنه المتحالف مع ملك سردينيا خشى الأخير من نابليون فاستسلم بعد ساعة وهكذا حقق نابليون لقواته وعده لهم بالانتصار على إيطاليا فازدادوا حباً له وتقديراً وكانت الثورة الفرنسية قد رفعت اسم نابليون عالياً في سماء فرنسا واعطى نابليون جنوده الشجعان الذين اشتركوا في ثلاثة حروب أو معارك رتبه الأميرالاي .

ورغم كل ذلك فإن حكومة الإدارة « المديرين الخمسة » الذين يتناوبون الرئاسه أرسلت إلى نابليون ـ الذي تخشاه

لشجاعته المتهورة وطموحه الذي ليس له حدود ـ تعلمه أن أمر قيادة الجيش لن يستمر لنابليون وحده بل سيشاركه فيه كليرمان فرد نابليون على حكومة فرنسا في أن كليرمان أكثر منه خبرة ومن أعظم القواد الفرنسيين في أوربا ولكن رفض نابليون الإشتراك معه في قيادة الجيش مما دفع حكومة المديرين إلى التراجع في هذا القرار خوفاً من أن يبطش بها نابليون ومن الطريف أن نذكر أن مقر قيادة نابليون يتغير يومياًخلال المعارك .

وبعد أن فتح نابليون ميلانو جلس في قصر كبير الأساقفه ليستريح وقال ستكون ميلانو عاصمة الجمهورية التي يبلغ تعدادها ٥ مليون نسمة وسأنتخب من بينكم خمسين رجلاً يحكمونها باسم فرنسا فإذا عادت النمسا واستولت على لمبارديا فسوف أكون معكم فإذا هلكت بلادكم هلكت معها وانتم الآن أتباع ولكنكم أحرار .إني سيّدكم لكن أحميكم وكل ما أريده منكم ٥٠٠ مدفع وصداقة فرنسا !

وانتصر نابليون على ايطاليا بعد معارك فاصله بينه وبين

ودرمزر الذي لم تبق معه سوى مانتوا فقط .

وبقيام أزمات جديدة في شمال فرنسا يتوجه إليها نابليون ليحارب ولكنه يهزم في بادىء الأمر فيطلب مدداً من باريس ويلجأ نابليون إلى أسلوب الخداع فيرسل جانباً من حرسه في قوس كبير حول العدو ومعه الأبواق والطبول فعندما تنطلق هذه الأبواق وتلك الطبول خلفِ العدو وسط المعركة يدب الذعر في قلوبهم فيفرون من المعركة وينتصر نابليون وعاد نابليون إلى ميلانو وبحث عن زوجته جوزفين فلم يجدها فأوشك أن يفقد صوابه لأنه شديد الحب لها بينما هي تخشاه ولا تحبه .

أما في باريس عاصمة فرنسا فإن صور نابليون اصبحت في كل مكان كما أن الشعراء الفرنسيين أشادوا بإنتصاراته وقارنوا بينه وبين قدامى الفاتحين والغزاة في العالم والأغاني والمسرحيات والإعلانات كلها أصبحت تذكر نابليون منقذ فرنسا وقد عرف نابليون كل هذا عندما وصل باريس كما عرفته حكومة الإدارة التي كانت تخشى شخص نابليون وزيادة حب الشعب له وغاظهم أن نابليون لا يسمع لآرائهم

أو توجيهاتهم بل كانوا متخوفين على حياتهم منه ولذلك أرسلت حكومة المديرين لنابليون كلارك الجنرال الأنيق المتكبر وفكر الأخير في أسلوب للتخلص من نابليون وفوجئ أن الجميع يستقبلون نابليون كملك وليس كقائد جيش حتى أن كلارك اضطر أن يوشي بخطط المديرين وأنحني أمام نابليون وانضم إليه ليكون في خدمته .

عرف نابليون أن حكومة المديرين تريد عقد صلح مع الألمان وليست لديها الرغبة في الحفاظ على إيطاليا فبدأ نابليون يضع خطة لمقاومة الحكومة متبعاً أسلوباً ماكراً مع الحكومة حيث طلب منها إرسال المدد لأن جنوده وضباطه اصبحوا في حالة إعياء كامل كما أخبرها أن صحته لم تعد تساعده على امتطاء جواده فلم يبق له سوى شجاعته ولذلك طلب منها البحث عمن يخلفه إذا كانوا يريدون الإحتفاظ بايطاليا وفي نفس الوقت أرسل لحكومته مائة من أجمل وأقوى الجياد لتحل أمام مركباتهم محل خيولها الرخيصة كما أرسل لها مبلغاً كبيراً من الأموال التي جمعها من المهادنة مع الملوك والأمراء . ولاشك أن نابليون كان في صحة ممتازة

ولكن طبيعة نابليون أنه كلما زاد تعلق الشعب به تقدم بطلب الإستقالة وويل للحكومة لو وافقت عليها ! فهو كلما ثبت أقدام فرنسا في إيطاليا إرتفع رصيده من حب الفرنسيين له . ونابليون يجمع الآن دول ايطاليا الست الصغيرة ويملي عليها دستوره ويعزل من يشاء من الموظفين ويعين من يشاء وفي نفس الوقت يقوم بعمل منشورات رائعة بارعة عن حرية هذه الشعوب وجلب من إيطاليا إلى متحف اللوفر في باريس أعداداً كبيرة من القطع الفنية الثمينة مالم يستطيعه ملك سابق في أوج انتصاراته وعندما وصل إلى سمعه أن هناك بعض المديرين يختلسون تعينات الجيش أصدر أمره بفحص كل ما يتعلق بمؤونة الجيش واعطى هذه اللجنة سلطة إعدام أي مدير مرتشي .

وعندما علم بأن الدعارة انتشرت في بعض المعسكرات أصدر أمره بأنه بعد مرور ٢٤ ساعة على صدور القرار في حالة العثور على هذه النسوة الساقطات تدهن أجسادهن بالسواد وتعرض علانية في الميادين لمدة ساعتين ورفض مبدأ الجلد والتعذيب وقال إنها وسيلة لا إنسانية .

طلب المديرين من نابليون مهاجمة روما ولكن نابليون يعلم جيداً أن البابا هو الأمير الوحيد الذي لا يمكن القضاء على سلطته بالمدافع لأن يمثل نسبه كبيره من سكان العالم فتوجه نابليون لمقابلة البابا الذي وعده بأن يدفع لفرنسا بضعة ملايين ومائة صورة ومجموعة من الأواني والتماثيل تختارها لجنة وفي حالة رفض البابا تنفيذ ما اتفق عليه فإن نابليون سوف يزحف تجاه روما وليس عليها فلو هرب البابا لأخذ نابليون كل كنوزه .

ومما يؤكد أن نابليون رجل دولة أيضاً أنه أرسل إلى القائد المهزوم شقيق الإمبراطور الألماني الذي كان يستعد لمحاربة فرنسا يقول له ألا تريد أن تحمل لقب البار بالإنسانية المنقذ لألمانيا فإنني أرى أنه بإمكانك أن تنقذ بلادك بسلاحك ولكن ألمانيا عندئذ ستصبح خراباً وتقع هذه الرسالة من قلب الفراندوق في الصميم وهو رجل يميل للسلام ويكره الحروب وتأتي رسل إمبراطور النمسا للتفاوض ويطلب نابليون إعطائه بلجيكا ولمبارديا على أن يعوض أمرائهما بأراض من ألمانيا فتقبل النمسا هذا العرض .

وصمم نابليون على الانتظار بايطاليا طوال اشهر الربيع والصيف حتى يطمئن إلى استقرار حكمه ثم يتجه بعد ذلك إلى باريس ودعا أسرته جميعاً فحضرت أمه وجوزفين وبينهما عداء مستحكم فأمه تكرهها لأنها لا تمانع في ملاحقة أي رجل تقابلـه وتشعر الأم الكورسيكـة التي أنجبت ثلاث عشرة طفلاً أن عقم جوزفين لا يليق بإبنها وعادت الأم إلى كورسيكا .

وعندما عقد الصلح مع روما التي تنازلت بمقتضاه عن بولونيا وفيرارا ورومانا ويحكي ياور نابليون عنه أنه عندما حل بقصر ميلانو استمتع لأول مرة بحياته الزوجية وببهجة في النفس ويستكمل ياوره الحديث فيقول « لقد كان في المركبة يبيح لنفسه من الحرمات الزوجية ما يربكنا ولكن تصرفه كان ينم عن ميل صادق فاغتفرنا له كل شيء .

تاليران ونابليون

بدأ تاليران يظهر على مسرح السياسة ويتميز هذا الرجل بالدهاء والقدرة على المفاوضة وإدارة دفة الحديث في اسلوب لبق وهو هادىء لا تستبد به شهوه سوى شهوة الطمع له

رأس ماكر يتنسّم رائحة الجو ويستطلع اتجاه الريح فهو رجل كل ساعة لا مبدأ له يسير في ركاب من بيدهم الأمر فمهما كانت مبادؤهم فهو سريع التلون إلى أن يوفق في الإطاحة بمن بيده مقاليد الأمور . أما عن نابليون غريمه فهو يفكر في الدفاع عن فرنسا وفي وضع دستور جديد يعطي شعب فرنسا مبادىء الثورة الفرنسية ويعلق تاليران على هذا بأن نابليون سئم المعارك ويريد من وضع الدستور أن يكون دكتاتوراً . ولجأ نابليرن إلى عقد صلح مع الألمان وهو صلح كامبوفورميو سنه ١٧٩٧ بدعوى نشر الصلح والسلام في ربوع قارة أوربا بعد أن هددهم نابليون بأن في إمكانه لو أراد فتح أوربا كلها خلال عامين فقط فكان لهذا الأسلوب الارهابي النابليوني أثره في سرعة توقيع المعاهدة بعد ست سنوات من الحرب بين ألمانيا وفرنسا . ومن الطريف حقاً أنه خلال مفاوضات نابليون مع وزير خارجية ألمانيا في النمسا استرعى انتباهه وجود عرش فاخر تعلوه مظله لإمبراطور ألمانيا في فينا فقال نابليون موجها كلامه للألمان « أخرجوا هذا الكرسي قبل أن تبدأ المفاوضات فإني ما رأيت مقعداً معّلى إلا حدثتني نفسي

باعتلائه ! فأخرجوه !

عاد نابليون بعد ذلك إلى فرنسا واستقبلته باريس استقبالاً رائعاً وظهر نابليون وسط الألوف بلبس الميدان لأنه يبدو فيه كثير التواضع وقام تاليران فألقى خطبه ختمها بقوله « ستكون فرنسا بأسرها حره ما عدا خلاه فقد لا يكون حراً أبداً وهذا مصيره » ولكن لم يدرك أحد معناها إلا نابليون نفسه واعتلى نابليون المنبر وقال إن شعب فرنسا حارب ملوكه ليفوز بالحرية واليوم يشرف عصر الدساتير ولي الشرف أن أحمل اليكم معاهدة كامبرفورميو » ثم يدوي تصفيق كالرعد لا للخطبة إنما لشخص نابليون .

نابليون وفكرة فتح مصر

قال نابليون منذ هذا التاريخ الذي تم فيه عقد صلح كامبوفورميو إن أوربا أصبحت تنعم بالسلام وإن من الصعب على فرنسا أن تحارب إنجلترا في عقر دارها لأن بريطانيا جزيرة محصنة في عرض البحر ففكر في التوجه إلى الشرق ليهزم إنجلترا في الطريق المؤدى إلى درة التاج البريطاني وهي

الهند ومن الطريف أن نابليون أصدر لنفسه أمر تعيينيه قائداً لجيش الشرق وكلف نفسه بالاستيلاء على جزيرة مالطة ومصر وإقصاء إنجلترا عن البحر الأحمر وشق قناة السويس ليضمن لفرنسا امتلاك هذا البحر وسرعان ما تحولت هذه الرغبة التي غذاها خياله إلى أن يضعها موضع التنفيذ وهو بهذا العمل لم يكن يدرك أنه وضع نفسه في نزاع مع إنجلترا لا يدري مداه فبدأ ينسج بنفسه خيوط مصيره .

وأرسل إلى أخيه رسالة يحيطه علماً بأن سيتوجه إلى الشرق وسيفوز على إنجلترا فإذا احتاجت إليه فرنسا فسوف يعود لينقذها فوراً وقد سأله أحد المديرين عن مدة غيبته في الشرق فرد عليه بأنها ستة شهور وربما امتدت إلى ست سنوات .

ولا شك أن النزاع بين إنجلترا وفرنسا كان هو المحرك الأول للحمله الفرنسية على مصر وخرج نابليون في حملة أطلق عليها جيش الشرق قوامه ٨٢٦ , ٣٦ مقاتلاً وكانت السفن الشراعيه التي تحملهم عددها ٣٠٠ سفن بلاضافة إلى ٥٥

سفينة حربيه كبيره منها ثلاثة عشر بارحة وأقلعت هذه العمارة جميعها من ميناء طولون يوم ١٠ مايو سنة ١٧٩٨ وصحب هذه الحملة بعض قواد نابليون الذين أثبتوا براعتهم الحربية في معارك ايطاليا والراين وفي مقدمتهم بريثيه berthier وكافريللي Caffarelli وكليبر Kleber ورينيه Reynier وديزيه Dexais ومورا Murat وجهز نابليون الحمله بمطبعة عربيه وأخرى يونانيه واصطحب معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها في الرياضه والهندسة والطب والجغرافيه والأدب والكيمياء والاقتصاد والآثار والمعارف وطبقات الأرض والنبات والمعمار وهندسة الري والقناطر والجسور والميكانيكا وطائفة من رجال الفنون والمصورين والرسامين والموسيقين والنقاشين والمثالين بلغوا ١٤٦ عضواً .

ورست هذه السفن بجزيرة مالطة يوم ٩ يونيه وكان يحكمها فرسان القديس يوحنا واحتلها نابليون بعد مقاومة محدودة واحتل حصونها ومعاملها وترك بها قوة من ٣ ألاف جندي بقيادة الجنرال فابوا Vaubais لتوطيد سلطة فرنسا في الجزيرة والدفاع عنها إذا هاجمها الإنجليز وجند ألفين من

مـالطـة أخـذهم معـه . بـدلاً منهم وعنـد خروج الحملـة من طولون كان نلسون قائد الأسطول البريطاني يقف ومعه ثلاثه من أمراء البحر الإنجليز على ظهور سفنهم يجهدون أنظارهم بالمناظير وشاءت إرادة القدر أن تلعب دوراً لتنقذ السفن الفرنسية إذ هبت عاصفة عاتيه فرقت السفن الإنجليزية وأخرت سير الحمله الفرنسية يوماً كاملاً فسبق بذلك الفرنسيين الإنجليز إلى مالطة وإستولوا عليها وحينما وصلها الإنجليز كان الفرنسيون قد غادروها وتأكد الإنجليز من ذلك لأن القوات الفرنسية كانت قد قامت بتزييت وتشحيم مدافعهـا فتركت آثارها الحربية على الجزيرة فتوقع نلسون أن الحملة الفرنسية سيكون إتجاهها إلى الإسكندرية فشد الرحال إليها فلم يجد أحداً وإنتظر ثلاثة أيام في مياه الإسكندرية دون جدوى فلما رفض السيد محمد كريم حاكم الإسكندرية مد الأسطول البريطاني بالماء والغذاء أسرع نلسون إلى سورية ثم صقلية بحثاً عن الأسطول الفرنسي ! ويقضي بونابرت في رحلته البحرية أربعة أسابيع ويلزم فراشة خلالها لإصابته بالدوار وكان أسطول نابليون يشتمل على ألفى مدفع ومعه

علماء في الفلك والهندسة والمعادن والكيمياء والآثار وبناء الجسور ومهندسين طرق واقتصاديين ورسامين وشعراء وبلغ عدد علماء الحملة الذين اصطحبهم نابليون مائة وست وأربعون عـالمـاً من المـدنيين يحملـون معهم أجهـزتهم ومراجعهم في مئات الصناديق ليشيد لفرنسا مستعمره ويبني لنفسه في افريقية مجداً هذا بلإضافة إلى مطبعة عربيه ومكتبه تحملها سفينه القيادة .

عندما وصل نابليون الاسكندرية يوم ٢ يوليو سنه ١٧٩٨ قاومه السيد محمد كريم حاكم الاسكندرية وبعد سيطرته على الاسكندرية حدثت مقاومات للحمله في البحيرة ثم واصل نابليون سيره إلى القاهرة بعد هزيمة المماليك في موقعة الأهرام « امبابة » وفرار مراد بك إلى أسوان وإبراهيم بك الذي حاول الدفاع عن الشرقيه إلى سوريه . أقول بعد هذا أخذ نابليون بسير بجواده فوق رمال الصحراء متوجهاً إلى أبي الهول وأهرامات الجيزة ويفكر نابليون في هذه اللحظة فيقول إن الإسكندر وقيصر وقف كلاهما في هذا المكان يفصلها عن أبي الهول ألفان من السنوات وأربعين قرناً عندما وصل نابليون

ويقول إن مدافع بونابرت حصدت ثمانية آلاف مملوك هم خيرة فرسان العالم ! وفي القاهرة عرف نابليون كيف يستميل الشيوخ والأعيان فيزعم لهم أنه محب للأتراك وأنه يقاتل أعداءهم المماليك . ويعود نابليون من رحلة الصحراء فيقابل وجوها جامدة مضطربة فقد هاجم نلسون قطع الأسطول الفرنسي ال ٤٠٠ وأغرق واستولى عليها عدا أربعة قوارب صغيرة فرت من المعركة وكان من بين هذه السفن ١٣ بارجة حربية وعلق نابليون إن هذه السحابة قد حجبت نجمى » ولكنه يقول إن حظه هو الذي أخر وصول نلسون حتى ثبت قدمه في مصر .

حاول نابليون الإتصال بشاه العجم والسلطان ميسور ليشق لنفسه الطريق إلى الهند ولكنه لم يوفق .

أخذ نابليون يدرس بعض الأفكار الجديدة ولعل في مقدمتها ترشيح مياه النيل وإنشاء طواحين الهواء والبحث عن موارد أولية لصناعه البارود ودراسة لأسماك النيل ومعادن البحر الأحمر ونبات الدلتا ومحتويات رمال الصحراء ويدرس

استغلال بحيرة النطرون وطمي النيل وأسباب الإصابة بالطاعون والرمد والكشف عن معادن الوجه القبلى ويكتشف عيون موسى . وذات يوم فوجىء بأحد ضباطه من رشيد بلوحه من الصوان « حجر رشيد » عليها تفسير باليونانيـة للنقش المصري فيكتشف العـالم شمبليون بعـد ذلـك مفتاح اللغة الهيروغليفيه كما يدرس نابليون فكرة توصيل البحرين المتوسط والأحمر التي نفذها فريناندلبس بعد ذلك بنصف قرن ولعبت دوراً خطيراً ولا زالت إلى الآن تلعب دوراً رئيسياً في التجارة العالمية بين الشرق والغرب .

وعندما انـدلعت ثورة القـاهرة الأولى في ٢١ أكتوبر سنـه ١٧٩٨ من الأزهر والدراسـة وضع نـابليون مـدافعـه على تلال المقطم وصوبهـا جهـة الأزهر واستطـاع أن يقمع هـذه الثورة وعلق رءوس بعض الثـوار على أعمـدة ليكـونـوا عبره لغيرهم . وعلم بعد ذلك أن السلطـان قـد اعلن الحرب على فرنسـا وأن الشواطىء الشمالية تحاصرها القوات البريطانية وفكر نـابليون في وضع خطـة ليقـاوم بهـا القوات العثمـانيـة التي ستحضر إلى مصر من قبرص ومن الشرق لتطبـق على الحملـة الفرنسيـة في

مصر وفعلاً قال نابليون إن الهجوم هو خير وسائل الدفاع فهو سيكون في شهر يونيه سنه ١٧٩٩ في دمشق ويدفع طلائعه حتى جبال طوروس ويزحف نحو الشرق بستة وعشرين الف فرنسي وسته آلاف من المماليك وثمانية عشر ألف درزي ويستولى على مستودعات الأتراك وموانيهم ويسلح المسيحين من السوريين وبعد أن أستولى على يافا أسر ثلاثة آلاف جندي تركي ولكن نابليون وجد أن هؤلاء الأسرى يحتاجون إلى ألف من قواته لحراستهم وفكر بادىء الأمر في ترحيلهم إلى مصر ولكن من أين السفن التي تنقلهم وليس لدي العدو أي اسير فرنسي حتى يبادلهم الأسرى وعقد نابليون مجلسه الحربي الذي قرر إعدامهم لأن الجنود الفرنسيين كانت يتملكهم الحقد كلما رأوا خبزهم يتناقص من أجل اطعام هؤلاء الأسري واستمر نابليون يفكر لمدة ثلاثة أيام وأخيراً قرر دفع الأسرى إلى البحر وقتلهم ووافق النقاد العسكريون على هذا الأسلوب لاسيا الألمان .

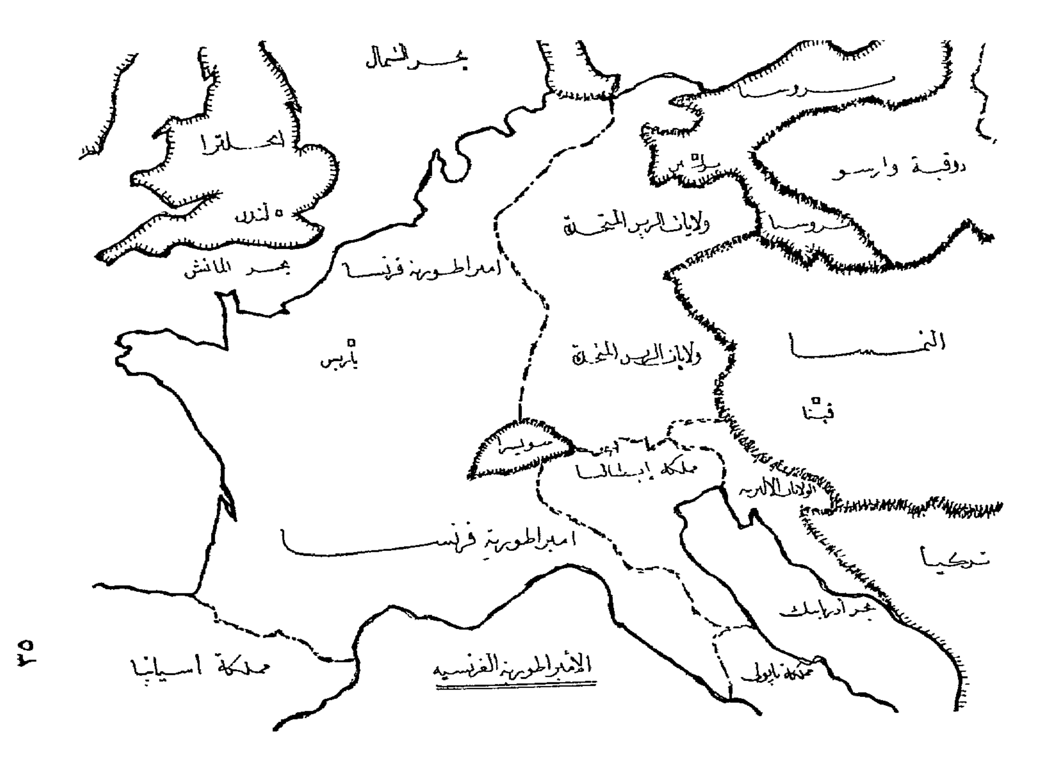
ووصل نابليون بخياله إلى قدرته على الإستيلاء على دمشق وحلب وعزل الولاة الظلمة ثم يدخل القسطنطينية

ومعه جماهير هائلة مسلحة ويسقط تركيا ويؤسس إمبراطورية جديدة عظيمه وربما يفكر في العودة إلى الوطن عن طريق أدرنه أو فينا ويتوجه نابليون إلى عكا ولكنه يفاجأ بأن الحصن رغم صغر حجمه إنما شديد التحصين بأسلحة حديثة يدافع عنه ضباط أنجليز ويهاجم نابليون الحصن بمدفعيته مرات متعددة ولكن احمد باشا الجزار يدافع بيسالة عن عكا والسفن الإنجليزية في البحر تمده بالذخيرة والأسلحة . وفي هذه اللحظة جاءه نبأ من فرنسا بعد ثمانية شهور من ابتعاده عنها أن فرنسا مشتبكة في حرب مع نابلي وسرد ينيا وأن مورو وأوجرو منافساه يتوليان قيادة جيش فرنسا وطبول الحرب تدق في أوربا وليس هناك من يستطيع أن ينقذ فرنسا سوى ابن الثورة ويتقهقر نابليون في أرض لا طرق فيها ولا ماء بل طاعون يفتك بمؤخرة الجيش ويأمر نابليون بتسميم خمسين من جنوده بالأفيون ليخلصهم من مرض الطاعون حيث قطع الأطباء الأمل في شفائهم ولكن رفض الأطباء تنفيذ فكرته ويصل نابليون إلى القاهرة في موكب يرفع أعلام النصر ودقات الطبول محاولاً

إفهام الشعب المصري أنه عـاد منتصراً ويتقـدم الأتراك عبر خليـج أبي قير بعـد مرور عام على مـوقعـة أبي قير البحريـة وينتصر نـابليـون بجيش يمثـل نصف عـدد جيش الأتراك وعانقه مورات أحد قواده في نهايـة المعركـة قـائلاً إنـك عظيم كالدنيا لكن الدنيا أصغر من أن تسعك .

وكان نـابليون قـد اتخـذ حـارسـاً لـه من المماليـك طويل القـامـة جميـل الصـورة أزرق العينين يـدعي رستم من أهـالي الكرج وأعطاه سيفاً وأمره أن ينام عند عتبه بابـه وفعلاً ظل يلازمه خمسة عشر عاماً .

وبعد أن تم له النصر في أبي قير البرية اتصل بنلسون قائد الأسطول البريطاني المرابط في عرض البحر بحجة مبادلة الأسرى بينما كان هـدفـه الحقيقي حصول يـاوره على إحـدى الصحف وفعلاً عندما قرأها تأكد أن فرنسا أو شكت أن تفقد ايطاليـا وقفز نابليون من سريره واجتمع بمارمو موضع ثقتـه وقـال لـه إنني سـوف أسـافر إلى فرنسـا وسـوف أخـذك معي وأترك القيـادة لكليبر ولقـد جئت لأوسس مستعمرة وفعـلاً هـزمت



بحر الشمال
انجلترا
لندن
بحر المانش
امبراطورية فرنسا
باريس
ولايات الرين المتحدة
ولايات الرين المتحدة
بروسيا
برلين
دوقية وارسو
بروسيا
النمسا
فينا
سويسرا
مملكة ايطاليا
الولايات الالليرية
امبراطورية فرنسا
تركيا
بحر ادرياتيك
مملكة نابولى
مملكة اسبانيا
الامبراطورية الفرنسية

الأتراك والآن بلغت الثلاثين من عمري .

وبدأت تمخر سفينتان صغيرتان مطفئتي الأنوار
البحر أمام الإنجليز وظل يلعب الورق ويغش في
كعادته وفي اليوم التالي يرد النقود لمن كان يلعب
وظلت السفينتان في البحر بضعة أسابيع وكان نابليو
وقوعه في يد الإنجليز وصمم على نسف السفينة التي ير
وجد أن الإنجليز سوف يأسروه وبعد سته أسابيع
جزيرة كورسيكا وتأكد نابليون أنها لا زالت تابعة
ونزل إلى البر واستقر في بيت والده ثم واصل سيره إلى
ومنها إلى باريس واحتفل به الناس احتفالاً ضخماً و
به صحف المعارضة والحكومة بإعتباره منقذ فرنسا وو
زوجته جوزفين خبر قدومه في اللحظه التي كانت
طعام العشاء على مائدة جوييه رأس المديرين
فأصيبت وجوييه بالذعر وحاولت أن تفاجىء ن
ولكن اخوته كانوا قد استقبلوه وعرفوا نابليون بفض
وعزم نابليون على طلاقها مهما تقول الناس . وكان الن
شوق إلى معرفة من بيده السلطة أهو مولان قائد الج

نابليون الذي هجر جيشه ولم تمر أيام معدودة حتى استطاع نابليون أن يقضي على حكومة المديرين.وتم تعينه قنصلاً أول لمدة عشر سنوات ولكن نابليون قام بإجراء استفتاء للشعب ليكون قنصلاً مدى الحياة أيده فيه أربعه مليون ناخب واعترض عليه بضع عشرات فقط .

وأرسل نابليون إلى إمبراطور ألمانيا يطلب منه وقف الحرب ويدعوه لعقد الصلح لتهئية السلم للجيل الحالي فهل كان نابليون من دعاة السلام .

في الواقع أن نابليون وإن كان قد اعتاد حياة المعسكرات وأحبها إلا أن رجل الدولة الكامن فيه هو الأقوى فهو من يوم أن تدرب على لعبة المفاوضات مع الملوك والأمراء فقد أحب هذه اللعبة الذهنية وفي نفس الوقت لن يترك سيفه الذي عرفته أوربا يصدأ وأصبح نابليون بعد إنتحابه قنصلاً أول مدى الحياه يعقد بمفرده المعاهدات مع الدول الأجنبية ويعين وحده أعضاء الشيوخ .

ويعرف نابليون أن فرنسا بحاجة مستمرة إلى المجد وإلى

الراحة وإليه شخصياً وخلفه أعداؤه وأعداء فرنسا يتربصون به ولهذا خط إلى الإمبراطور ذلك الخطاب الذي لم يكتبه منتصر في ميدان القتال فقال « إن الدكتاتور العائد إلى وطنه يفتش عن السلام بكل قواه وهو يحيط به نفسه لأن وهو ينتزع الأراضي عادة بالزحف السريع والضربات القاسمة ينتزع الآن الصداقه مع أعدائه القدامي ففرنسا اليوم في صلح مع النمسا وبروسيا وبافاريا والروسيا ونابلي وأسبانيا والبرتغال وإنجلترا أخيراً بعد وفاة بت Pitt العنيد وتعين ڤوكى الدبلوماسي ليدعوه نابليون إلى باريس . بل قد اعترف تسعه أمراء من أشد المتسكين بشرعية الحق الملكي اعترفوا بجمهورية فرنسا بعد أن استمروا يحاربونها أكثر من عشر سنوات .

وقد بدأ نابليون ينشىء في فرنسا المدارس الشعبية وفي مدة ثلاث سنوات أصبح بها ٤٥٠٠ مدرسة شعبية و ٧٥٠ مدرسة ثانوية و ٤٥ ليسيه كما إهتم نابليون بالتعليم الفني تحت إشراف العالم مونج Monge ووجه اهتمامه إلى مختلف المهن ليقضي على البطالة المنتشرة في ربوع فرنسا وفي ليلة عيد

الميلاد يركب نابليون القنصل الأول متوجها إلى دار الأوبرا وفجأة انفجرت قنبلة فقتلت عشرين شخصاً ولم يصب القنصل بسوء ولا أي أحد من أفراد اسرته ولكن كان رد فعل نابليون كبيراً فعطل ٦١ صحيفة عن الصدور بينما كل صحف فرنسا كانت ٧٣ صحيفة وفرض الرقابة الصارمة على كل ما ينشر حتى أن أخيه الذي يصغره بست سنوات وهو لوسيان كان يرفض الرضوخ لنابليون وهو شديدّ المغامرة وكان لوسيان وهو وزير للداخلية قد اشترى قصراً فاخراً وعمل بالمضاربة في البورصه مما دفع نابليون إلى إقالته وعينه سفيراً لفرنسا في مدريد بأسبانيا حيث يمكن أن يستخدم حذقه السياسي ضد إنجلترا ولكن لوسيان عندما توفيت زوجته تزوج من حسناء سمعتها لا تفضل سمعه جوزفين ورفض فكرة نابليون من زواج سياسى .

وأغدق نابليون على اخوته جميعاً البنين والبنات وعلى أمه التي رفضت العيش معه وعين نابليون أغلبهم في وظائف كبيرة ولكن أحدا من إخوته لم يقف إلى جانبه ولم يقدر شعوره وكانت مشكلة نابليون هي من يخلفه فزوجته لم

تنجب منه رغم أن لها ولدان من غيره وهو له ثلاث أولاد من علاقات غير شرعية وكان نابليون يقضي أمسيات مرحة مع الوصفيات .

وعندما إكتشف نابليون أن أحد أمراء أسرة البربون يسمى چورچ كادووال Cearges Cadaudal (ابن عم الملك لويس السادس عشر) ضالع في مؤامرة ضد نابليون أرسل إليه نابليون ثلثمائة رجل في الزوارق إلى مدينة بادن عبر نهر الراين نجحوا في اختطافه وقام مستشار دولة بدور المدعي في توجيه الأسئلة إليه أعدها القنصل الأول شخصياً واتضح له أنه يقبض مرتباً شهرياً كبيراً من انجلترا وحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم عسكرياً في اليوم التالي وعلق نابليون على ذلك بقوله « أنا الثورة الفرنسية وسأعرف كيف أحميها » وبعد أسبوع واحد من هذا الحدث طلب بعض أعضاء من مجلس الشيوخ إلى نابليون إنشاء محكمة دولة لتصان حياة رئيس الدولة من المؤامرات وتأسيس ملكية جديدة في فرنسا ومعنى هذا أن نابليون في حاجة إلى وريث وإنه بات يفضل لقب إمبراطور لأن لقب ملك اصبح شيئاً تافهاً أما لقب إمبراطور

فهو أعظم وأصبح نابليون وعمره ٣٤ سنة إمبراطوراً أما مظهره وعاداته وعلاقاته فلم يحدث فيها أي تغير بل لم يغير الإمبراطور من أسلوب حياته فهو يستيقظ في السابعة صباحاً ويستقبل الزائرين في التاسعة ويدون السكريترون ما يمليه عليهم طوال النهار وحينما يسهر ليلاً يتحتم على مينفال أن يكون في خدمته ليسجل ما يمليه نابليون ولا يستغنى عن نار الموقد والحمام الساخن وماء الكلونيا وتبديل ثيابه الداخلية مرتين يومياً ونقشت العملة باسم إمبراطور فرنسا نابليون الأول أما جوزفين فتملك ٧٠٠ ثوب و ٢٥٠ قبعة وتتكلف زينة شعرها ملايين الجنيهات وهو يسخط أحياناً على تبذيرها . وأصبح اخوته من أصحاب السمو الأمبراطورى وتم عمل احتفال في كنيسة نوتردام لتنيصبه امبراطورا ودعا البابا وسار نابليون في معطف امبراطورى أثري إلى الكاتدرائية في موكب عظيم تصحبه الإمبراطورة وحين تأتي لحظه مباركة البابا له يمد نابليون يده إلى التاج منتصب القامة شأنه في كل أدوار حياته وعندما إنتهى من التتويج قال « إنه أحب لنفسه أن يخوض معركة من أن يقلد نفسه تاج فرنسا » ومما

لا يعرفه الناس عن نابليون خبرته الطويلة ومهارته الفائقة في رسم المدفع وصبه وصناعة البديل واصلاح كل عجلة فيه . وقد قال نابليون لبعض خلصائه « لن يسود الهدوء أوربا حتى تخضع لفرد واحد لإمبراطور يجعل الملوك في عداد موظفيه ويوزع الممالك على قواده ويقلدهم جميعاً في نفس الوقت مناصب في البلاط » كل هذا كانت تغذيه مخيلة نابليون .

ولم يمض عام على تتويج نابليون إمبراطورا على فرنسا حتى بدى أن إنجلترا أصبحت في حالة حرب ورابط نابليون منذ الربيع للإستعداد للنزول إلى إنجلترا وفجأة وصل إلى علمه أن النمسا سوف تهاجمه فحول نابليون جيشه عبر الراين لمواجهة النمسا ووضع نابليون خطته في الزحف ومدتها ونقط الالتقاء وهجوم العاصفة واخطاء العدو المتوقعة وذلك على مساحه مائتي ميل وقبل المعركة بشهرين ولكن كانت النمسا قد عرفت فنون نابليون في القتال وصممت على أن تضربه بنفس سلاحه لكن نابليون يحمل في صدره دائماً أساليب جديده لكل معركة فقد طوق الجيش النمساوي في هجوم

خاطف مما يجعل جيشاً كاملاً يستسلم لنابليون ، قبل أن يتمكن هذا الجيش من إطلاق قذيفة واحده ! وكان نابليون يلبس بدله عسكري لم يغيرها لمدة اسبوعين وعليه معطف أغبر محترق ويعيش في كوخ مغطى بالطين عليه قميص لزج يتناول البطاطس والبصل ! وعرض نابليون الصلح على إمبراطور النمسا المهزوم في نفس الوقت الذي كان يزحف على فينا عاصمته . ولكن وصل إلى نابليون خبر مؤلم وهو أن أسطول فرنسا المكون من ١٨ سفينه في الطرف الأغر قد حطمته إنجلترا ووقع اميرال فرنسا في أسر الإنجليز وإن نلسون قد وقع في المعركة قتيلاً . ولكن نابليون انتصر في أوسترلتس وطلب الإمبراطور المهزوم من نابليون أن يستقبله في أحد القصور لكن نابليون استقبله في إحدى طواحين الهواء ويقول له ساخراً « آسف ياصاحب الجلالة في إستقبالك في القصر الوحيد الذي أدخله منذ شهرين » وحصل نابليون من معركة استرلتز على ٤٥ علماً و١٥٠ مدفعاً وأسر ٢٠ جنرال و٣٠ ألف أسير وبلغ عدد القتلى ٢٠ ألف مشهد مرعب ! ويعلق نابليون بعد هذه المعركة أن أوربا يجب أن تكون جامعة دول بزعامة

فرنسا أما روسيا فمن قارة أسيا أما إنجلترا فهي جزيرة خارج القارة « ويرى أن تكون باريس عاصمة أوربا » وبعد بضعة شهور اصبح شقيقه يوسف ملكاً على نابلى ويصبح أمير بافاريا وورتمبرج ملكين ويختار من بيت بافاريا زوجة لأوجين كما يختار أميراً من أمراء بادن لإبن اخت جوزفين ويحتفظ بإحدى بنات ورتمبرج لأخيه الأصغر ويجعل من ١٦ ولاية في جنوب وغربي ألمانيا مجموعة تابعة له وتمده بالجنود ويتزاحم أمراء هذه الولايات الألمانية الستة عشر على باريس يقدمون لنابليون فروض الطاعة أما عن هولنده فوعد بتولية الأمير لويس عليها أو تدمج مع فرنسا وهي تابعة له من فترة فإذا رفضت هولندا تعيين اخيه ملكاً عليها فلا بأس من ابتلاع فرنسا لها .

وتزوج چيروم الصغير من أمريكية بعد سفره إليها بحاراً فيغضب نابليون لذلك فيأمر بحصار سفينتهما في لشبونة ويعاهد جيروم زوجته الشابه على الوفاء الأبدي . وعاشت أمه في باريس مهيبة الجانب في قصر تريانون وخصها بمليون جنيه فكانت توفر منه جانباً كبيراً وتقول إن كل نعمة يمكن

أن تزول فماذا يكون مصير أولادي لا سيا أنها تخشى على نابليون من كل معركة يشترك فيها »

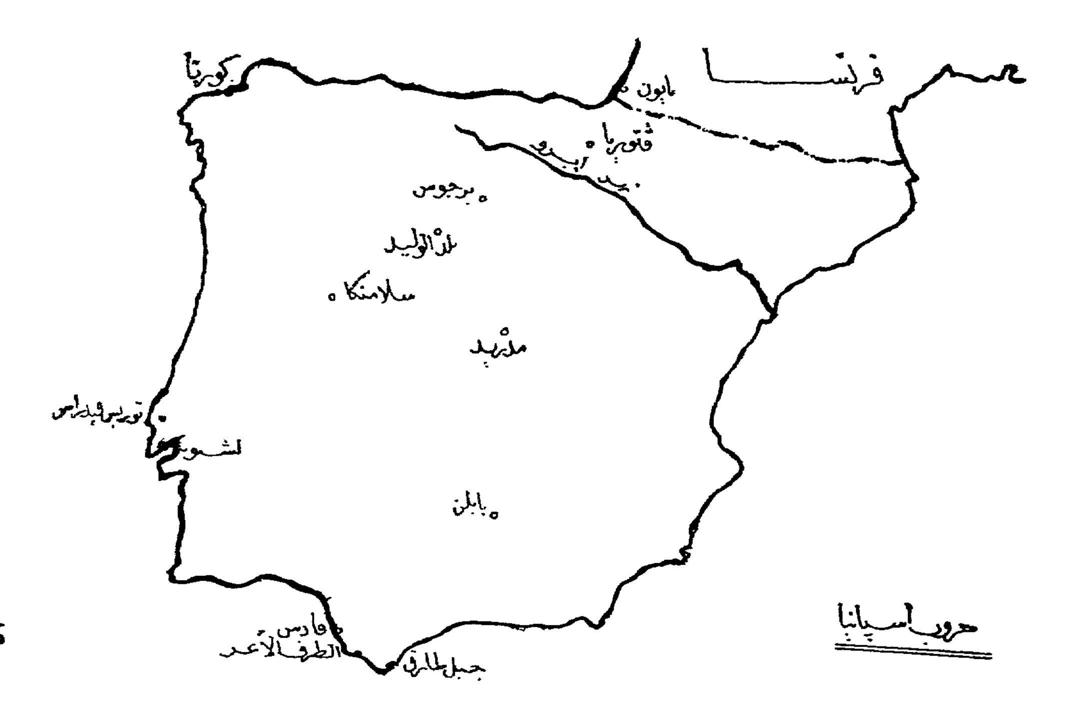
عهد الإمبراطورية الأولى
١٨٠٤ ـ ١٨١٤

لقد بهت البابا وكل من حضر حفلة تتويج نابليون سنة ١٨٠٤ في كنيسة « نوترادم » عندما اختطف نابليون التاج من بين يدى البابا فتوج نفسه بنفسه وتوج جوزفين الراكعة أمامه وهكذا يمكن أن نقول إن الأيام حققت حلم نابليون .

وقد سبق في شهر مارس سنة ١٨٠٢ أن عقد صلح اميان Amiensوبمقتضاه تعهدت إنجلترا بالمحافظة على حياد مالطة وعلى بقائها تحت حكم فرسان القديس يوحنا ولكن إنجلترا اعتبرت أن هذا الصلح ما هو إلا هدنة مؤقته وظلت إنجلترا تحتل جزيرة مالطة فعلاً وتقول إنجلترا أن فرنسا أصبحت إمبراطورية املاكها تتسع بصفة مستمرة فأصبحت تضم هولنده وجمهوريتنا « الألب الشمالية » « والهلفييتة » وتحاول



ماريشالات نابليون


حروب اسپانيا
فرنسا
بايون
ڤتوريا
ايبرو
نهر
كورنا
برجوس
بلد الوليد
سلامنكا
مدريد
تورس ڤيدراس
لشبونة
بايلن
قادس
الطرف الأغر
جبل طارق

فرنسا إسترجاع مستعمرة رأس الرجاء الصالح وجزيرة سان دومنجو إحدى جزر الهند الغربية وتحاول إسترجاع مصر وترسم مشروعاتها للتوسع في الهند ويشتد ذعر أوربا من نابليون الذي أخذ هو الآخر ينقض وعوده فنقض عهده لبروسيا واستولى على هانوفر ولم يحافظ على حياد شمال ألمانيا أما إنجلترا فخلصت نفسها هي الأخرى من عهدها الذي إشترطته في صلح اميان ١٨٠٢ بشأن تخليها عن جزيرة مالطة ذلك لتوقعها إستئناف الحرب مع فرنسا وأيدها في ذلك كل من روسيا وتركيا وكل منهما كانت تخشى توسع نابليون في الشرق وكان أمر التوسع سببا في قطع العلاقات بين فرنسا وإنجلترا ١٨٠٣ .

الحلف الأوربي الثالث ١٨٠٥

تتأزم الأمور في إنجلترا ويعود بت إلى رئاسة الوزارة ١٨٠٤ ليعدها لمحاربة فرنسا وكان قيصر روسيا الشاب من ألد أعداء نابليون وكان يكره فرنسا لسلطانها على ألمانيا وكان يرى أن مطامع فرنسا في بعض مناطق الشرق الأدنى معوقاً

لروسيا في السيطرة عليها لذلك إنضمت روسيا إلى إنجلترا التي تعهدت بدفع مرتبات جند القوات الروسية وحماية تجارة روسيا في البحار . أما النمسا فقد انضمت إلى الحلف رغم تخوفها من نابليون الذي هددها مرتين الأولى أيام حكومة الإدارة والثانية أيام القنصلية في حملته على إيطاليا . كما إنضمت السويد إلى الحلف وكان ملكها جوستاف الرابع قد تولى الحكم سنة ١٧٩٩ متعصباً لمذهب لوثر ويكره الثورة الفرنسية ومبادئها وأسهمت باثنى عشر ألف جندي .

وهكذا تكون الحلف الأوربي الثالث من إنجلترا والروسيا والنمسا والسويد ضد فرنسا وأسبانيا وأعلن هدفه وهو رد فرنسا إلى حدود بلادها ونشر السلم بين ربوع أوربا . ولكن حدثت عقبات وقفت في سبيل تنفيذ أغراض الحلف منها أن الروس يخشون الحرب في أماكن بعيدة عن بلادهم كما شغلت النمسا باسترداد ما فقدته من أملاك بالإضافة إلى تفوق قوات نابليون من حيث التدريب والاستعداد لخوض المعارك وليس من حيث العدد وكان نابليون مستعداً لمضاعفة قواته وقت الحاجه .

قيام الحرب بين نابليون ودول الحلف الثالث :

بدأت الحرب بهزيمة الأسطول الفرنسي الأسباني في موقعة « الطرف الأعز » على يد الأسطول البريطاني بقيادة نلسون في ٢١ أكتوبر سنة ١٨٠٥ ولعله من المصادفات العجيبة أنه نفس الأسطول الذي حطم الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير البحرية في مصر سنة ١٧٩٨ ولكن أمير البحر نلسون لقى مصرعه في هذه المعركة وهذا يؤكد تفوق بريطانيا الكبير في المعارك البحرية .

وخلال عامي ١٨٠٥ و ١٨٠٦ انتصر نابليون على النمسا وبروسيا والروسيا . ففي أكتوبر سنة ١٨٠٥ هزم النمسا في واقعة « أولم » « ulm » في ألمانيا ودخل العاصمة فينا بسهولة . وعندما انضمت قوات القيصر عقب هذه الهزيمة إلى قوات الإمبراطور فرنسيس الثاني انتصر نابليون عليهما معاً في مورافيا Moravia في معركة أوسترلز Austertitz الشهيرة وذلك يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ ويطلق عليها المؤرخون « موقعة الأباطرة الثلاث » وترتب على ذلك انسحاب قوات

الروس نحو الشمال الشرقي أملاً في إستئناف القتال وهكذا أصبحت ألمانيا تحت سيطرة نابليون وفعلاً نجحت سياسة تاليران Talleyrand حيث خلقت جو الخلاف بالرشوة والوعود بين كبار رجال الدولة في ألمانيا فسلك نابليون بذلك طريقين الأول المعاهدة التي عقدها مع فرنسيس الثاني إمبراطور النمسا في برسبرج Pressberg في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٠٥ وبها سويت جميع العلاقات بين فرنسا والنمسا ففقدت النمسا بمقتضاها البندقية وتنازلت عنها لمملكة إيطاليا واستردت بافاريا أملاكها في التيرول Tyrol وأصبح كل من أمير « بافاريا » وفرتبزج ملكاً في بلاده وتنازلت روسيا عن بعض ما تملك مقابل حصولها على « هانوفر » وكان من نتائج ذلك أن تزوج بوهارنيه Beauharnais ابن جوزفين من كبرى بنات ملك بافايا .

أما الطريق الثاني الذي اتخذه نابليون كان نجاحه في تشكيل اتحاد الراين Confederation of the Rhine وضم الإتحاد ملكي بافاريا وفرتمبرج دوق برج Berg وغيرهم من حكام ألمانيا الغربية وترتب على ذلك أن يعد هذا الإتحاد

جيش نابليون بعدة من ٦٠ ألف مقاتل .

مصير نابولي وهولندا : عندما إنسحبت القوة الفرنسية الموجوده في نابلي لتعاون القائد الفرنسي في « ماسينا » بشمال إيطاليا إنتهزت نابلي الفرصة وإستعانت بجنود روس وآخرين إنجليز تصادف مرورهما بشواطئها فاضطر نابليون إلى إرسال جيش بقيادة أخيه جوزيف الذي إنتصر وعينه نابليون ملكاً عليها كما عين نابليون شقيقه الثاني لويس ملكا على هولنده وكان قد تزوج من ابنه جوزفين ومن ذريتها نابليون الثالث الذي سيكون حكماً بين مصر والشركة الفرنسية التي تنشيء قناه السويس أيام الخديو إسماعيل .

موقف بروسيا من تكوين اتحاد الراين :

كانت بروسيا تحلم في بناء إمبراطورية ألمانية على أنقاض إمبراطورية النمسا وكان يمكن تحقيق ذلك قبل تكوين هذا الإتحاد كما أن نابليون لم يف بوعده لبروسيا في تكوين اتحاد مماثل لبروسيا في شمال ألمانيا . وكانت ظروف بروسيا السياسية والعسكرية لا تعطيها الفرصة لتحقيق هذا الحلم لأن

ملكها فردريك وليم الثالث الذي حكم من ١٧٩٧ ـ ١٨٤٠ كان يطمع في مساعدة نابليون وله حزب يشايع فرنسا يقاومه حزب من عامة الناس ضد سياسة حزب الملك .

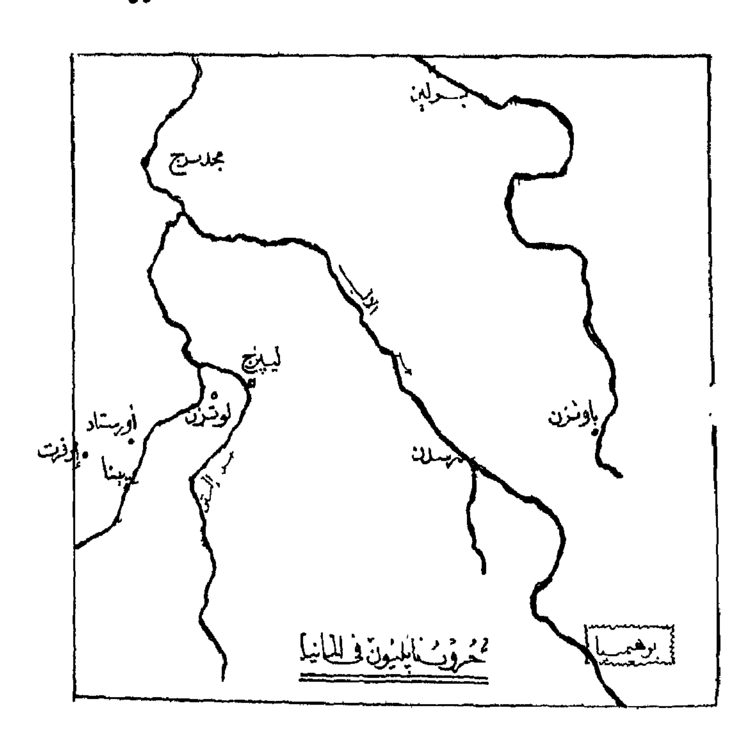
فلما زار قيصر روسيا برلين عرض على بروسيا أن يساعدها بكل قواته وعرف نابليون ذلك فاستعدت بروسيا للحرب خلال شهري أعسطس وسبتمبر سنة ١٨٠٦ وفي أول أكتوبر تقدم سفير بروسيا في باريس بمذكرة إلى تاليران وزير الخارجية الفرنسية يذكره فيها بوعد فرنسا بإنشاء إتحاد في شمال ألمانيا تحت سيطرة بروسيا على أن تجلو القوات الفرنسية عن منطقة الراين خلال أسبوع واحد .

وأسرعت بروسيا فدخلت الحرب ضد فرنسا قبل وصول المدد الروسي وثمة خطأ آخر وقعت فيه بروسيا عندما تقدمت جيوشها إلى سكسونيا وكان من الأفضل أن تقف في مكانها ونزلت الهزيمة الكبرى بيروسيا في معركة جينا Jena في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٠٦ بعد ساعات معدودة من حربها مع القوات الفرنسية التي أسرت أربعة آلاف جندي بروسي وقد استطاع لويس بونابرت شقيق نابليون وملك هولندا أن ينتهز هذه

الفرصة ويحتل وستفاليـا وجزء كبير من هـانوفر . وشعر أهل بروسيـا بـالهوان لأن ملكهم فرديـك الثـالث قبـل رشـوة من نابليون تتمثل في منحه هـانوفر مقـابل إمتنـاعـه عن معـاونـة النمسا وقت محنتها وبالغ نـابليون في إذلال أهل بروسيـا عنـد إخراج سيف بطلهم العظيم فردريك الثاني من قبره وحملـه مع نياشينه ومجموعة كبيرة من الصور والتماثيل أخذهـا معـه . ولم يكتف نابليون بذلـك بل أصـدر مـا أسماه المؤرخون « بمراسيم برلين الشهيرة » أن إنجلترا محاصرة بحريـاً وحـذر من الإتصـال بهـا لأن ذلـك يعتبر خيـانـة عظمى كما أعلن أن جميع رعـايـا بريطـانيـا في الـدول المحـالفـة لفرنسـا يعتبرون سجنـاء كما أمر بمصادرة أي مصنوعات أو سلع تجارية بريطانية ولذلك أمر أن يرابط على سواحل أوربا عدد كبير من رجال الجمارك والشرطة لتنفيذ سياسة الحصار القاري ضد بريطانيا .

وبذلك إتسع نفوذ نابليون بعد معاهدة برسبورج وأراد نابليون أن يقيم امبراطورية بونابارتية اسماً ولحماً ودماً فقام بتزويج :

في ألمانيا :



حروب نابليون فى ألمانيا

١ - رينه أوجين برهارنت « نائب ملك إيطاليا إلى ابنه ملك بافاريا .

٢ - إبنه أخت جوزفين « سيتفاني » إلى ابن غراندوق بادن .

٣ - أخيه جيروم إلى ابنه ملك ورتمبرج « بعد أن طلقه من الأمريكية » .

في ايطاليا :

١ - عين أخية يوسف ملكاً على نابلي .

٢ - عين أوجين بن جوزفين نائب ملك على لمبارديا .

في هولنده :

عين اخيه لويس ملكاً على هولنده بعد قلب نظامها الجمهوري .

في ولايات الراين :

أقطع نابليون لمورا « زوج أخته كارولين » قطائع واسعة



على حدود بروسيا الغربية وقرر ١٥ أمير من أمراء ألمانيا الجنوبية وفي مقدمتها أصهاره ملكى بافايا وورتمبرج وغراندوق بادن الإنفصال عن الإمبراطوية الألمانية التابعة للنمسا وألغوا ولايات الراين المتحدة وعقد الأمراء مع نابليون معاهدة تحالف في الحرب والسلم مما أدى بإمبراطور النمسا فرنسيس الثاني التي كانت تسيطر على ألمانيا وإيطاليا أن يتنازل عن لقب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ويكفيه بإمبراطور النمسا .

صلح تلست Tilsit سنة ١٨٠٧ :

تلست هذه إحدى المدن التي تقع على نهر نيمن Niemen في بروسيا الشرقية وتم عقد هذا الصلح بين فرنسا وبروسيا وأهم شروطه أولاً : إعادة أملاك فرديك وليم في بروسيا القديمة وفي سكسونيا ثانياً : موافقة ملك بروسيا على تنفيذ سياسة الحصار القاري ثالثاً : تحويل املاك بروسيا في بولنده إلى « دوقية وارسو » رابعاً : تشكيل مملكة « وستفاليا » وتضم أملاك بروسيا في سكسونيا وأملاكها

على نهر الراين وهانوفر هس كاسل وبعض الولايات الألمانية الصغرى وجعل جيروم Jerame أصغر اخوة نابليون ملكاً عليها .

خامساً : من شروط هذا الصلح أيضاً إعلان مملكة نابلي لجوزيف بونابرت ومملكة هولندا للويس بونابرت .

سادساً : ولعل أهم شروط هذا الصلح توسط فرنسا لعقد صلح بين الروسيا وتركيا وتوسط الروسيا في عقد صلح بين فرنسا وإنجلترا .

ونتيجة لهذا الصلح فقدت بروسيا نصف أراضيها وانخفض سكانها إلى النصف فأصبحوا خمسة ملايين فقط أما الروسيا فقد اتسعت أراضيها فأخذت فنلندا من السويد وضمت بعض أملاك بروسيا في بولندا وإعترفت بجميع التغيرات التي أحدثها نابليون في خريطة أوربا . وهذه هي الشروط المعلنة لصلح تلست أما الشروط الست فكانت على الروسيا تنفيذ سياسة الحصار البري ضد إنجلترا إذا فشلت في الوساطة بين فرنسا وإنجلترا وأن تضع الروسيا قواتها البحرية مع قوات

الدانمرك تحت تصرف نابليون لمحاربة إنجلترا وألا يتدخل الإسكندر قيصر روسيا في مشروعات نابليون في أسبانيا .

وفي عام ١٨٠٧ بلغ نابليون أقصى درجات القوة والنفوذ وفي سنة ١٨١١ بلغت أملاك نابليون أكبر اتساع .

وعندما علم جورج كانتج George Cahning وزير خارجية إنجلترا بالشروط السرية في معاهدة تلست استولى على الأسطول الدانمركي بكونهاجن في سبتمبر سنة ١٨٠٧ .

ماري فاليسكا :

فتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعاً فقيرة ولكن سحر جمالها أخاذ وساجية الطرف وفاتنة الملامح تزوجت من الكونت فاليسكا الشيخ البولندي لثرائه العريض ومن الطريف أن أصغر أحفاده كان يكبرها بعشر سنوات . ولما دخل نابليون وارسو وأقام أهلها حفلاً كبيراً له فرأى نابليون الكونيسته فلم ينم وأرسل إليها ثلاثة رسائل ملتهبة مع ديروك الذي كان لبقا في مجالجة عنادها حتى لانت وقابلت نابليون في العاشرة مساء وانقضت المقابلة الأولى بين النسر

وفريسته بعد ثلاث ساعات من الملاطفة والإعجاب ولما إطمأنت ماري إلى نابليون تكرر اللقاء الذي أثمر وزير خارجية فرنسا في عهد نابليون الثالث فتأكد نابليون أن العيب كان في جوزفين وليس في شخصه!

سياسة الحصار القاري وما ترتب عليها من نتائج :

فرض نابليون على فرنسا والدول الخاضعة لها تنفيذ سياسة منع التجارة مع إنجلترا ومنع السفن البريطانية من دخول مواني فرنسا وحلفاءها وردت إنجلترا على ذلك « بأوامر المجلس » الصادرة في يناير سنة ١٨٠٧ وهي منع الدول المحايدة في أوربا من الإتجار مع فرنسا ووضع ممتلكات فرنسا في أوربا تحت حصار إنجلترا البحري ولذلك كان رد إنجلترا عنيفاً وكان نابليون يهدف من وراء سياسة الحصار القاري إلى الإنتقام من إنجلترا لما وقع من أساطيلها في أبي قير سنة ١٧٩٨ وفي معركة الطرف الأغر سنة ١٨٠٥ وكان هدفه الحقيقي أن يحطم إنجلترا عن طريق تجارتها لأن من غير الممكن تحطيمها عن طريق قوتها البحرية الضاربة .

وترتب على هذه السياسة إنتشار البطالة والإفلاس وكساد التجارة في بريطانيا ولو نجح نابليون في منع وصول القمح لإنجلترا لاضطرت إلى التسليم ولكنها عوضت خسائرها في التجارة عن طريق زيادة الإنتاج الصناعي بشكل لم يتوقعه نابليون .

أما فرنسا فازدهرت فيها الزراعة وعرضت بعض المنتجات الإستعمارية التي لم ترسل إلى فرنسا مثل السكر فزادت من زراعة البنجر وجدير بالذكر أن سياسة الحصار أضرت بالدول الصديقة لفرنسا أكثر من فرنسا نفسها لا سيما هولنده التي يحكمها شقيقه لويس مما إضطره إلى التنازل عن عرشها ومع ذلك لم تتحسن أحوالها وضمت إلى فرنسا في يوليو سنة ١٨١٠ .

ولكن ما من شك أن أسلوب نابليون في الحصار القاري وقراراته إنما كانت أول مسمار في نعشه وقد غفل نابليون رغم عبقريته الفذة النتائج التي يمكن أن تترتب على سياسته في حصار القارة وقد أخطأ نابليون حين استخدم العنف في معاملة البابا عندما نفاه في مايو ١٨٠١ وسجنه في جرينبل

Crrenoble ثم ضم أملاكه لفرنسا . وأكره أسبانيا في معاهدة فنتنبلو Fontainbleau في أكتوبر سنة ١٨٠٧ على الإشتراك مع فرنسا في غزو البرتغال وتم لنابليون ذلـك ولكن القوات الفرنسية عبرت جبال البرانس وأجبر نابليون ملك أسبانيا وابنه وولى عهده بالتنازل عن جميع حقوقهما في العرش وأصبح جوزيف شقيق نابليون ملكاً على أسبانيا سنة ١٨٠٨ مما أساء إلى شعور الأسبان ولهذا إنتقم هؤلاء في يوليو سنة ١٨٠٨ من الفرسيين فأخذوا دوبون Dup ont القائد الفرنسى ومعه ٢٣ ألف مقاتل فرنسي أسيراً وأثارت هذه الهزيمة دهشة أوربا فشجعت الدول المعادية لفرنسا على الإنتقام مما دفع الإمبراطور فرنسيس إلى رفض الإعتراف بجوزيف ملكاً على أسبانيا . ووجد نابليون أن النمسا وبروسيا تتحينان الفرصة للتخلص من سلطـان فرنسـا فـدعا نابليون قيصر روسيا إلى لقاء في أرفورت سنة ١٨٠٨ وإشتركا في إرسال دعوة إلى إنجلترا للصلح فرفضت إنجلترا لإصرار القيصر والإمبراطور على الإبقاء على جوزيف ملكاً على عرش أسبانيا وكان نابليون يهدف من اجتماع ارفورت هذا إلى إيهام

العالم الأوربي لاسيما الدول المعادية لفرنسا أن صداقة نابليون لقيصر روسيا مازالت قائمة واستجاب نابليون لرغبة القيصر في أن يجعل تحت سلطانه « ملدافيا » ولاشيا (الأفلاق والبغدان) ووافقه نابليون مقابل أن يراقب القيصر حركات النمسا .

النمسا تعلن الحرب على فرنسا في ١٦ أبريل سنة ١٨٠٩ :

أعلنت النمسا الحرب معتمدة على كثرة جنودها بالنسبة لعدد الجند الفرنسيين ولكن نابليون الذي توقع هذه الحرب لم يهتم بنقص عدد المحاربين في صفوفه فأسرع بمهاجمة قوات النمسا فهزم الأرشيدوق لويس ومعه تسعة آلاف مقاتل ثم أكمل انتصاره بهزيمة الأرشيدوق شارل وأسر ٢٠ ألف مقاتل علاوة على الأسلحة التي حصل عليها من المعركة . ثم أخفق نابليون في عبور نهر الدانوب مايو سنة ١٨٠٩ فانتشرت الشائعات التي تهدد نفسية القوات الفرنسية لأن هذه الهزيمة في قيادة نابليون شخصياً ولكن نابليون لم يمض عليه شهران حتى نجح في عبور نهر الدانوب وانتصر على النمسا انتصاراً

قاتلاً في معركة واجرام Wagraim في يولية ١٨٠٩ . وعقد نابليون صلح « شونبرن » مع النمسا فخسرت النمسا أربعة ملايين من سكانها حيث تنازل امبراطورها مجبراً عن سالزبورج Salsbyrg وجزء من أعالي النمسا « لاتحاد الرايـن » كما تنازل عن جزء من بوهميا وتنازل لروسيا عن جزء من غاليسيا الشرقية ولفرنسا عن تريستا وبعض أجزاء من كرواتيا ودلماشيا وسلوفينا وبمقتضى ذلك أتم نابليون تكوين مملكة إيطاليا عندما ضم إليها تلك المقاطعات وحرم النمسا من أخر ميناء تمتلكه على بحر الأدرياتيك .

طلاق جوزفين

أحب نابليون جوزفين حباً جارفاً ولم تبادله هذا الشعور الجياش وعندما قام بحملته على مصر وصلته أنباء خيانتها فصمم على طلاقها عندما يعود إلى فرنسا ولكنه بمجرد لقائه بها تجدد حبه لها بل زاد لهيب هذا الحب إلى أن تم تعينه قنصلاً أول مدى الحياة ففكر في وريث خوفاً من أن تعود البلاد إلى الأخطار الداخلية والخارجية من بعده ويقع النزاع بين زعماء فرنسا وزادت هذه الأفكار عندما أصبح إمبراطوراً

فعرض عليه أخوته طلاق جوزفين التي لا تنجب منه والزواج بإحدى أميرات البيوت المالكة في أوربا فرفض نابليون لأنه كان يشك أن العقم منه شخصياً لأنه تزوج من جوزفين الأرملة ولها ولدين من بوهارنيه زوجها الأول وفي يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٩ توجه نابليون بنفسه إلى جوزفين وقال لها « إن مصيري يا جوزفين أقوى من إرادتي وإن أعز رغباتي لتطاطيء رأسها أمام صالح فرنسا » فأغمى عليها في سراى التويلري .

وفي يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٨٠٩ شهد البهو الأكبر في سراي التويلري منظراً فريداً نابليون وجوزفين وكل منهما يحمل ورقة سطرت عليها كلمات كان على كل منهما تلاوتها على رجال الدولة الذين استدعاهم القصر ليكونوا شهوداً على إعلان كل من الزوجين رضاءه عن فراق الآخر .

ورغم الطلاق فقد إستمرت الصلة بينهما والخطابات الملتهبة من الطرفين حتى بعد أن تزوج ماري لويز إبنة امبراطور النمسا التي أنجبت له « النسر الصغير » ملك روما فيما بعد وقد



الأمبراطورة ماري لويز

ودّع نابليون جوزفين عندما اعتزل الملك قبل رحيله إلى جزيرة البا فانطفأ سراج حياتها بعد سفر نابليون بحوالي أربعة أسابيع وكان موتها نذيراً بأفول نجم نابليون .

بداية النهاية

كان نابليون عبقرية عسكرية فذه يندر أن توجد مثلها في العالم ولكن المشكلة أن اطماعه ليس لها حدود .

ولكن خوفه من قدرة بريطانيا البحرية التي تفوق قدرة فرنسا بضع مرات هي التي دفعته إلى محاربتها « بمراسيم برلين » التي أصدرها ١٨٠٦ وكانت عنصراً بارزاً من العناصر التي قربت نابليون من نهايته . وثمة سبب آخر هو إزدياد أطماع وزير خارجيته تاليران الذي فاوض النمسا دون علم نابليون ووزير داخليته قوشيه الذي فاوض الإنجليز من وراء ظهر نابليون ولما علم نابليون أقاله من الوزارة وأيضاً برنادوت أحد قواد نابليون الذي أصبح ملكاً للسويد سنة ١٨١٠ وغير اسمه إلى الملك شارل جونCharles John تحول إلى المقاومة ضد نابليون . وجدير بالذكر أيضاً أن زواجه من مارى لويز

ابنة إمبراطور النمسا (أملاً في أن ينجب وريث للعرش) سنة ١٨١٠ عقب صلح شونبرن في أبريل سنة ١٨١٠ بعد طلاقه من جوزفين فهذا الزواج السياسي آثار مشاعر الفرنسيين أنفسهم الذي يحبون جوزفين وصرفه عن صداقة الروسيا كل هذا فضلاً عن بناء عدد كبير من السجون في فرنسا زج فيها الفرنسيين لأتفه الأسباب وفي مقدمتها حرية الصحافة .

وإهتزت العلاقات بين الإسكندر قيصر الروسيا وبين نابليون وبدأ القيصر ذلك فعلاً عندما تباطأ في تقديم المساعدة لنابليون في واقعه « واجرام » وكان المتفق عليه أن يبلغ نابليون عن تحركات النمسا أولاً بأول كا ظهرت خيانة القيصر أيضاً من سياسة الحصار القاري التي فرضها نابليون فروسيا لم تنفذه بل على العكس فرضت ضرائب ومكوس مرتفعه على التجارة الفرنسية .

روسيا تحارب فرنسا :

وصل نابليون إلى سمولنسك Smolensk· في أغسطس سنة ١٨١٢ بين نهر نيمن Nimen وموسكو وظل الروس

يتراجعون أمام نابليون دون أن يمكنوه من اللقاء الحربي الذي أراده نابليون وانتهى نابليون في مسيرته إلى موسكو فوجد انسكان قد هجروها وأحرقوا كل ما فيها من مؤن فعاد ونزلت بجيشه مصائب الجوع والبرد والمرض وفقد أكثر من ١٠٠ ألف جندي فلما بلغ أوربا كانت معظم شعوبها قد تحولت إلى حلف يعادي نابليون فشعب بروسيا أحاط بملكها وطلب منه التحالف مع روسيا إنتقاماً لكرامته فعقد معها معاهدة « كاليش » Kalish في فبراير سنة ١٨١٣ اتفق فيها الطرفان على عدم انفراد أحدهما بعقد صلح منفرد مع فرنسا وتعهد فيها قيصر روسيا بأن يعيد لبروسيا ما فقدته من أملاك كما أراد القيصر أن يتأكد من إستعداد الشعب الألماني لقبول هذا الإتفاق فأعلن على أمرائه أن من يتخلف منهم في محاربة نابليون سوف يفقد أملاكه في النهاية .

حرب ألمانيا التحررية :

هلجمت القوات الروسية والبروسيه معاً القوات الفرنسية بقيادة نابليون الذي لم يلبث أن انتصر عليها في لوتزن-Let

tzen في أتحاد الراين والثانية في بوتزن Butzen يسيلزيا وكان انتصار نابليون أشبه بالهزيمة لأنه فقد كثيرا من جنوده وشعر أن الروح المعنوية بين جنوده لم يصبح لها وجود .

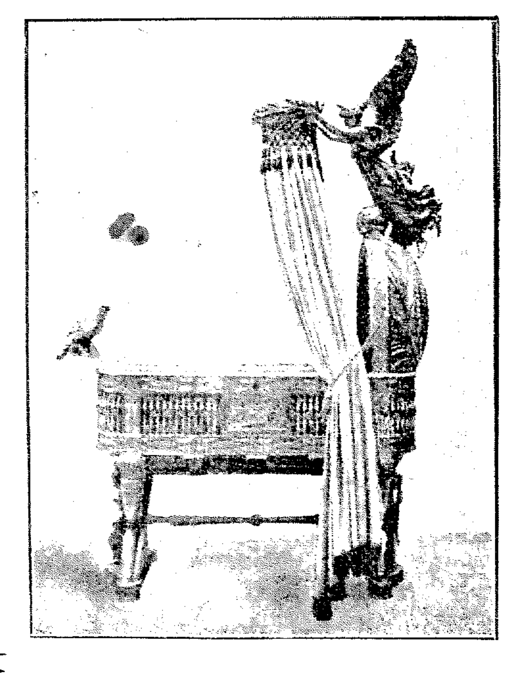
دور النمسا في حرب التحرير :

ظهر مستشار النمسا الأعظم مترنخ Metternich وهو من أشد أعداء نابليون فأرسل إلى نابليون شروط صلح لابد أن يرفضها نابليون فلما حدث ما توقعه مترنخ أعلنت النمسا الحرب وانضمت إلى روسيا وبروسيا وحدثت معركة حاسمة انتهت بإنتصارهم على نابليون في ١٦ أكتوبر سنة ١٨١٣ عرفت بمعركة الشعوب انتهت بأن فقد نابليون خمسين ألف من جنده وهرب نابليون بما بقى من رجاله إلى الراين حيث فتكت الأمراض بأكثرهم ثم اكتملت المأساة بانسحاب قوات نابليون من أسبانيا على يد القائد ولنجتن Wellington البريطاني الذي عزم على غزو فرنسا من الجنوب أما هو لندة فقد أعلنت ولاءها « لبيت » أورنج » وعقدت نابلي معاهذة مع النمسا وفقدت فرنسا نفوذها في أسبانيا .



ملك روما

(النسر الصغير)



مهد « ملك روما »

ابن نابليون من ماري لويز

ورغم كل هذه الظروف السيئة فقد استطاع نابليون أن يجند ٣٥٠ ألف مقاتل وإنتصر في معركتين متتاليتين مما بث الخوف مرة أخرى في نفوس أعدائه وعرض أعداؤه الصلح في نوفمبر سنة ١٨١٣ وفيه اشترطوا أن تحتفظ فرنسا بحدودها الطبيعية الراين وجبال الألب والبرانس فرفض نابليون وتأزمت الأمور في فرنسا فعرض أعداؤه صلحاً جديداً في فبراير سنة ١٨١٤ يطلبون فيه من نابليون التنازل عن بلجيكا وسافوي فرفضه أيضاً فقامت الحرب مع أعدائه فضرب جيش البروسيين في الشمال وجيش النمساويين في الجنوب مما يدل على عزيمة نابليون الجبارة رغم الظروف السيئة للجيش الفرنسي وقلة عدده بالنسبة لجيش الأعداء ولكن سرعان ما سقطت باريس .

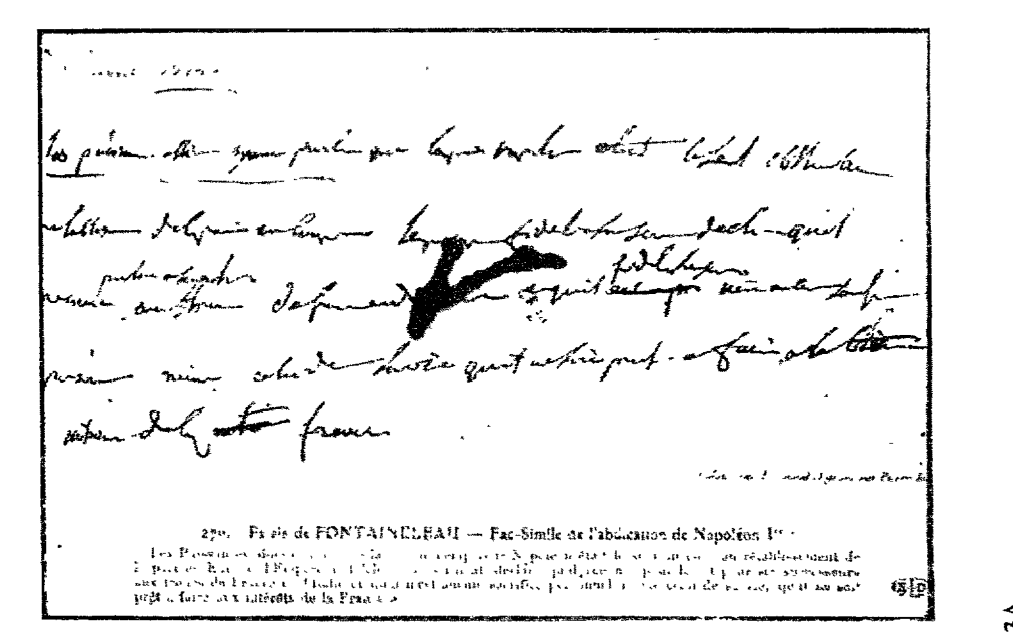
انهيار البناء

هطلت سماء المحن مدراراً فوق رأس نابليون فقد تخلى عنه حلفاؤه المخلصون وخذلته فرنسا نفسها وأنكره أصحابه وأقاربه بل واخوته فلجأ للأسف الشديد حلفاؤه إلى أعدائه وبذلك

فقد نابليون كل ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا (التي استولى عليها الإنجليز) وهولنده أما أخوته فقد خرج عليه لويس أما جيروم ملك وستفاليا فقد هجر مملكته وشعبه كما رفض يوسف تولي القيادة العسكرية في باريس أما لوسيان فقد ضاع من زمن عندما تزوج من عامة الشعب ورفض فكرة نابليون في طلاقها والزواج من أميره وتعينه ملكاً .

ومن غرائب الأحداث أن نابليون ظل ينتصر في تقهقره حتى بلغ أعداؤه باريس ووافق نابليون على اعتزاله الحكم ويأخذ جزيرة البا المتواضعة ليعيش فيها بقية حياته .

بعث نابليون برسوله كولنكور وزير خارجيته إلى قيصر الروسيا الموجود في باريس وأفهمه القيصر برغبة الحلفاء في القبض على نابليون ونفيه وعودة حكم أسرة البربون وطلب منه القيصر اقناع نابليون بالتنازل عن العرش لولده ملك روما لعله يستطيع اقناع الحلفاء بذلك وكتب نابليون نص التنازل« إنه لما كان الحلفاء قد أعلنوا أن الإمبراطور نابليون هو العقبة الوحيدة في سبيل عودة السلم إلى أوربا فإن الإمبراطور نابليون يعلن إستعداده للنزول عن العرش وترك


270. Palais de FONTAINEBLEAU — Fac-Simile de l'abdication de Napoléon Ier.

صورة استقالة نابليون

وذلك من غير مساس بحقوق ولده ووصاية
طوره عليه والإحتفاظ بقوانين الإمبراطورية وحدث
تنازل يوم ٦ ابريل سنة ١٨١٤ .

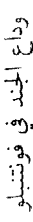
كان لدى نابليون أملاً في قوة قائده مارمونت وهي
قوة فرنسية ولكن خاب أمله إذ انضم للحلفاء مما دفعهم
ول إن نابليون لا يجب أن يضع شروطاً لتنازله . وكان
حول نابليون بعض قواده المخلصين فطلب إليهم نابليون
اعدوه في الوصول إلى أطراف فرنسا ليحارب الحلفاء فلم
أحد منهم فمه فطلب منهم أن يتركوه وحده .

في ١١ أبريل سنة ١٨١٤ وضع الملوك شروط معاهدته
كن إيجازها فيما يلي :

- أن يحتفظ كل من نابليون وزوجته بلقب إمبراطور .

- أن تحتفظ أم نابليون وكذلك أخوته بألقابهم .

- منح نابليون جزيرة إليا وتدفع الخزانة الفرنسية له ٢ ١/٢
فرنك مرتب سنوي .



وداع الجند في فونتنبلو

٤ ـ تمنح الإمبراطـورة دوقيه بارما وولايتين آخرتين تنتقل ملكيتها بعد وفاتها إلى ملك روما (ابنها) من نابليون

٥ ـ إعطاء نابليون حرس قوامه ٤٠٠ رجل ممن يقبلون التطوع .

حاول نابليون تناول علاّقة السم التي ظلت في عنقه منذ سنوات ولكن الطبيب أسرع لانقاذه عندما ظهرت عليه أعراض السم « يقال إن خادمه رآه يتناول السم من ثقب الباب » وقد كذب بعض المؤرخين هذا الحادث .

ووقع نابليون المعاهدة في موعدها وودعه حرسه الإمبراطوري وهو متأهب للسفر إلى منفاه في جزيرة إلبا التي تبعد عن فرنسا ٢٠٠ ميل .

وفي ليلة ١٩ أبريل سنة ١٨١٤ أقلعت به المركب البريطانية لأنه رفض السفر على مركب فرنسية عليها علم البربون ووصل البا بعد خمسة أيام واستقبل بإطلاق ١٠٠

طلقه مدفع تحيه لقدومه وأشرف على نقل عفشه كسائح بسيط .

أما عن جزيرة البا فهي جزيرة صغيرة مساحتها ١٦ ميل مربع ويبلغ تعداد سكانها ١٣ ألف وأخذ بعد أن استراح بعض الوقت يجوب بجواده الجزيرة كلها ودرس إمكاناتها من معادن وملاحات وكروم وغابات . وبدأ نابليون يحفر القنوات كما أنشأ مستوصف لعلاج المرضى واستولى على جزيرة صغيرة بجوارها كانت ملجأ للقرصان وابتسم نابليون لرفاقه قائلاً سوف تقول أوربا أنني بدأت سلسلة فتوحاتي من جديد ! كما أصدر أوامره بتطهير البيوت والثكنات وتنظيف الطرق والشوارع ومنع أي غريب عن الجزيرة من دخولها قبل التأكد من خلوه من الأمراض وبدأ عملية تجفيف المستنقعات وتنقية مياه الشرب .

وفي صيف سنة ١٨١٤ سافرت إليه أمه وأخته بولين وسعدت ليتشيا براحة إبنها وأرسل لزوجته أن تحضر إليه

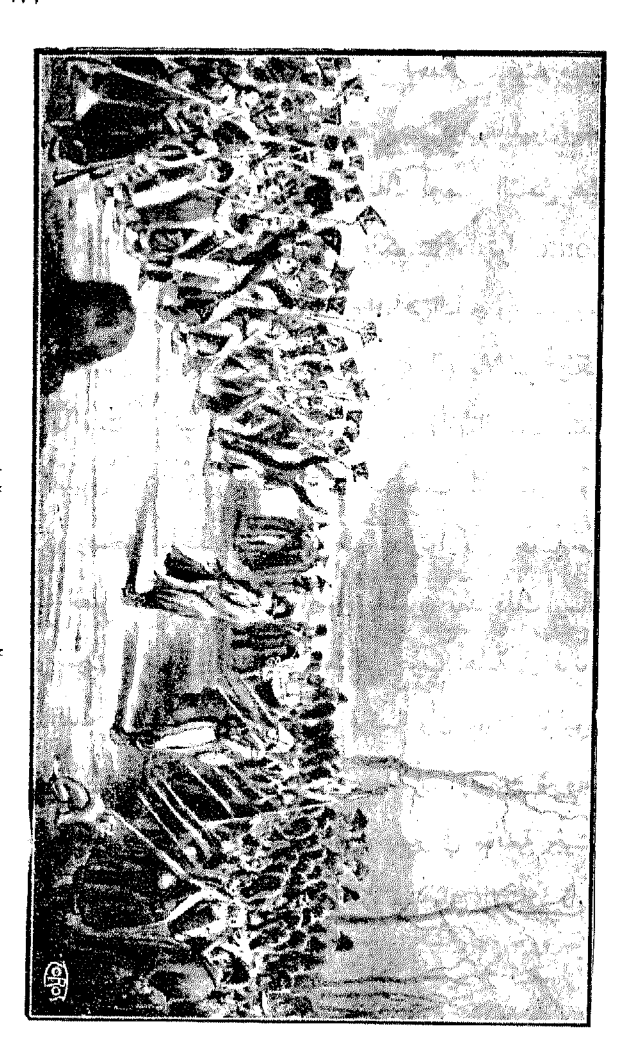
ولكنها وقت وصول رسالة نابليون كانت في أحضان ضابط نمسوى أعور !

عودة حكم أسرة البربون إلى فرنسا

عندما اتخذ الحلفاء قرار إبعاد نابليون عن فرنسا لم يصادف هذا القرار تأييداً لدي معظم الشعب الفرنسي الذي كان يكن كل الحب والإعزاز لشخص نابليون إمبراطورهم .

أصبح لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا وطلب منه القيصر بأن يرتقي عرش فرنسا باسم الأمة وبموافقة مجلس الشيوخ لكنه أبى وقام بسن دستور جديد هدية منه إلى شعب فرنسا وملأ الوظائف بأعوانه من أسرة البربون وطرد من الوظائف الهامة كل من يشك في أن له ميول مع النظام الإمبراطوري وألقى علم الثورة المثلث الألوان ووضع مكانه العلم الملكي الأبيض وأعتبر فترة حكم نابليون كأنها كانت حلماً وليس حقيقة فذكر أنه تولى حكم فرنسا منذ تسعة عشر عاماً وقطع عن نابليون مرتبه الذي حددته معاهدة فونتنبلو .

وفي يوم ٢٦ فبراير سنة ١٨١٥ أقامت بولين Pauline شقيقة نابليون وليمة فاخرة في إليا دعت إليها ضباط الحرس الإمبراطوري وأعيان الجزيرة وعندما انتصف الليل اختلى نابليون بقائده برتراند Bertrand ودوريه Drouet وطلب منهما وقف جميع السفن في الميناء حتى يغيب نابليون في جوف البحر . وفي فجر يوم ٢٧ فبراير خرج نابليون في ألف من خلصائه وركبوا البحر وأخبرهم نابليون بأنهم في الطريق إلى باريس فكانوا في سعادة غامرة وأخذوا في تزييت وتشحيم أسلحتهم ويصلحون ملابسهم (بعد عشرة شهور في إلبا) وكان نابليون قد طبع منشورات ليوزعها في فرنسا داعياً الشعب إلى مناصرته ووصل خليج جوان (الذي كان قد وصله عندما سافر من مصر سنة ١٧٩٩) وواصل مسيرته حتى جرنوبل فقابلته أكبر قوة حشدتها الحكومة لمواجهة نابليون الذي انطلق على صهوة جوادة تاركاً قوته الضئيلة حتى أصبح على قيد خطوات منهم وارتجل كلمات قليلة قائلاً لهم « إن كان أحد منهم يريد قتل الإمبراطور فهذا صدري مفتوح له



العودة من جزيرة إلبا

! فكانت جرأة أذهلت الجنود فنكسّ أحدهم بندقيته فقلده الآخرون وهتفوا بحياة نابليون وتعززت قوة نابليون بمن انضم إليه من جنود الحكومة . أما الملك لويس الثامن عشر فوكل أمر الدفاع عن مملكته إلى الكونت دارتوا Conte d'Arteoo أخيه والمارشال ناي قائده الماهر الذي وعد لويس بوضع نابليون في قفص حديدي يجره به إلى باريس ولكن ناي ما لبث أن تبين أن الجنود متمردون وأن الشعب ينضم إلى نابليون حتى أن مدينة ليون استسلمت لنابليون دون إطلاق رصاصة واحدة وانسحب منها دارتوا لأن جانباً من جيشه انضم لجيش نابليون . فأرسل نابليون بعد ذلك رسالة لناي يقول له فيها إن المقاومة معناها حرب أهلية في فرنسا وأن الملك لويس ١٨ هرب من فرنسا وأن عودة نابليون كانت بالاتفاق مع النمسا وإنجلترا بعد أن وضعتا شروطاً للتسوية وأن الملك مورا صهر نابليون يسير في مقدمة جيش جرار يشد به أزر الإمبراطور فما كان من ناي إلا أن قابل

نابليون بالعناق وانضم إليه وأخيراً أشرف نابليون على باريس وحمله أهلها على أكتافهم وذهبوا به إلى قصر التويلرى .

حكومة المائة يوم

حدير بالذكر أنه عندما دخل الحلفاء باريس في مارس سنة ١٨١٤ ونزل لهم نابليون عن الملك عقدوا « صلح باريس » مع فرنسا وتساهل فيه الحلفاء لأن هدفهم كان طرد نابليون وقد تحقق وبذا عقد المؤتمر في نوفمبر سنة ١٨١٤ في فينا الذي استمر بضعة أسابيع لحل بعض المشاكل وكانت كل دولة تدعى نفسها ! الفضل في طرد نابليون وعندما وصلهم خبر عودة نابليون من البا وقفوا جميعاً ضد نابليون أما شخص نابليون فقد أصبح بدينا يميل إلى النوم كثيراً وقلت حركته .

موقعة ووترلو

أراد نابليون السلم مع جميع دول أوربا التي أصرت على ضرورة محاربته بإعتباره عدواً للعالم وعاملاً رئيسياً في

الإخـلال بـالأمن وليس من المعقـول أن دول أوربـا (وفي مقـدمتهـا إنجلترا) التي أنفقت ٨٠٠ مليـون جنيـه وفقـدت ٢ مليون شخص في سبيل التخلص من نـابليون ستقف مكتوفـة الأيدي . ولذلـك وضع دوق ولنجتون خطـة القتـال فـاقترح تقسيم جيوش الحلفـاء ثلاث أقسـام : الجيش الأول يطبق من بلجيكا أي من الشمال ويتألف من جيوش بروسيا وإنجلترا أما الجيش الثـاني فيزحف على فرنسـا من الشرق ويتـألف من جيوش بافاريا والنمسا أما الجيش الثـالث فيزحف على فرنسـا من الجنـوب الشرقي ويتكـون من جيـوش الروسيـا . على أن يبدأ الجيش الأول فوراً ثم يستعـد الثـاني ويتـأخر الثـالث في النزول إلى أرض المعركة ولكن تم الاكتفاء بـالجيش الأول لأن المعركة الفاصلة وقعت في بلجيكا .

فعنـدمـا علم نـابليون أن طلائـع جيـوش الحلفـاء بقيـادة ولنجتن في بلجيكا سوف تزحف نحـو حـدود فرنسـا بينمـا كان بلوخر البروسي على رأس قـوة أخرى قـاعـدتهـا الراين زاحفـة نحـو غرب فرنسـا ليلتقي بجيـوش ولنجتن أسرع نـابليـون إلى

لقـاء كل منهما على حـدة وغـادر بـاريس يوم ١٢ يونيو سنـة ١٨١٥ واستولى على شارلروا يوم ١٥ يونيه .

وكانت خطة نابليون تنحصر في إرسال جيوش شرقاً للقاء بلوخر وأرسل ناي شمالاً بغرب للقـاء ولنجتن ويبقى هو بينهما ومعه قوة احتياطيه يمد بها من يحتاج منهـا إلى معونتـه ولكن ضيع نابليون يوما في استعراض قواتـه كان بلوخر قـد استعـد استعداداً ضخماً فقرر نـابليون أن يشترك ومعـه نـاي وجروش ليـدحر جيش بلـوخر وكانت معركـة ليني Ligny من أعنف المعارك التي خاضها نـابليون واستمرت سبع سـاعـات من الثـالثة بعد الظهر إلى العاشرة مساءً وتم النصر فيها لنابليون وأنـدحر البروسيـون انتصاراً لا يتصوره عقل وكانت هذه آخر المعـارك التي انتصر فيها نـابليون ولكن المرض عـاود نـابليون في نفس اليوم فلم يرسل جروش للقضاء على فلول البروسيون إلا بعـد يومين .

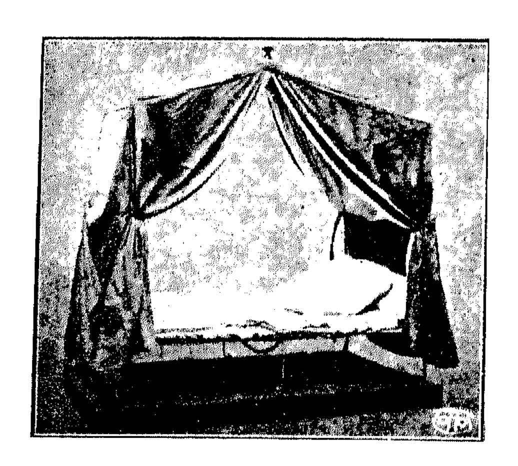
وفي هـذا التـاريخ كانت معركـة ووترلو الشهيرة التي هزم الإنجليز فيها الفرنسيين هزيـة نكراء بعـد أن انضم إليهم بلوخر

ومعه ٥٠ ألف بروسي .

وخسر نابليون معركة ووترلو ولكنه لم يخسر شيئاً من سمعته الحربية فقد أجمع كبار القادة على أن خطة القتال التي وضعها نابليون كانت بارعة وضعاً وتصميماً إنما خابت في الإخراج يوم ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ وبقى نابليون ٣٧ ساعة على ظهر جواده في فترة المعركة من ١٤ إلى ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ .

ووقع صك تنازله عن الملك من جديد يوم ٢٢ يونيه سنة ١٨١٥ وتشكلت حكومة مؤقته برياسة فوشيه لتحل محل حكومته وطلب إليه رئيسها مغادرة باريس فوراً وحاول الهرب إلى أمريكا وفعلاً وصل إلى ميناء روشفور يوم ٣ يولية ولكنه وجد مياهها تعج بالسفن البريطانية ولديها الأمر بالقبض عليه حياً أو ميتاً .

وفي ٩ يوليو أمرته الحكومة المؤقته بمغادرة فرنسا في ٢٤ ساعة وعرض عليه أحدهم أن يسلم نفسه إلى إنجلترا كلاجيء سياسي وفعلاً نقلته السفينة البريطانية حتى ميناء بليموث



سرير نابليون في سانت هيلانة

جنوب إنجلترا وأصدرت حكومة بريطانيا قراراً بإعتبـاره أسير حرب ونفتـه إلى جـزيرة سـانت هيـلانـة وأرسـل نـابليـون احتجاجـه التـاريخي في ٤ أغسطس سنـة ١٨١٥ من على ظهر الباخرة من أنه لا يعتبر أسيراً ولكنه ضيف سلم نفسـه بنفسـه ولكن انجلترا أكلته غيلة واغتصاباً .

وأخيراً استسلم للقـدر وأقلعت بـه السفينـة في ٨ أغسطس سنـة ١٨١٥ سـرعـه لأن جـانبـاً من الشعب البريطـاني بـدأ يتعـاطف مـع نـابليـون وكان معـه ٢٤ شخصـاً من أتبـاعـه ومريديه .

وهـذه الجزيرة صخرة كبيرة في وسـط الأوقيـانوس تبعـد عن أوربا ب ٦ آلاف من الأميـال وبينهـا وبين اقرب منطقـة في أفريقيـة ١٢٠٠ ميل ولهـا جـوانب منيعـة تقف ضـد الأمـواج فتحول بين نسيم البر وبين باطنهـا فكأنهـا أتون مستعر لا سيما في فصـل الصيف وكان عـدد سكان الجـزيرة ٥٠٠ نسمـة منهم ٢٥٠ جندي والباقي من العبيد ولم يتعـد أحـد من سكانهـا سن الخمسين واستغرقت الرحلة سبعين يوماً حيث وصلت السفينـه

يوم ١٦ أكتوبر سنه ١٨١٥ وكان نابليون يحمل معه سريره الذي نام عليه في ميدان أوسترلتز .

وكان نابليون ينام كل ليلة إلى ساعة متأخرة من النهار خلافاً لما اعتاده ثم يأخذ حماماً ويتناول طعامه في الحادية عشرة ثم العشاء في السابعة مساءً ولكن سرعان ما عاد إلى حياته السابقة فيقوم في الخامسة صباحاً فيخرج على ظهر جواده ولم ترتاح الحكومه الإنجليزية إلى تصرفات حاكم الجزيرة الأميرال كوكيرن لتسامحه مع نابليون فأرسلت مكانه هدسون لو الذي يحقد على نابليون حقداً شخصياً فعامله بكل غلظه وقلل كميات الطعام ومنع طبيبه الخاص وأرسل أصدقائه خارج الجزيرة حتى يجعل نابليون وحيداً .

وانتشرت في صحف أوربا هذه الأنباء مما دعاً حكومة كل من الروسيا والنمسا إلى القول بأنها غير مسئولة إذا توفي نابليون . واصيب نابليون فعلاً بقرحة في المعدة وأصبحت معدته لا تحتمل أي طعام وبدأت قواه تخور يوماً بعد يوم . وعندما أحس نابليون بدنو أجله استدعى الأب فينالي

واعترف له بخطايا حياته وقال « إنني سعيد بأن أتممت واجباتي الدينية وإنني أموت في حضن المذهب الكاثوليكي وإنني أرغب في أن ترقد رفاتي على ضفاف نهر السين بين شعب فرنسا الذي أحببته حباً جماً وأسلم الروح في ٥ مايو سنه ١٨٢١ ورفض هدسون لو أن يكتب على قبره كلمة الإمبراطور كما طلب نابليون قبل موته أن يشق صدره ويخرج قلبه ويحفظه ويعطيه لزوجة ماري لويز .

مات لويس الثامن عشر سنة ١٨٢٤ وهو الملك الرجعي الذي ألغى الديمقراطية وأعدم القائد الفرنسي ناي وترك نابليون في قبره المتواضع بسانت هيلانة يحرسه جندي بريطاني وتولى من بعده الملك شارل العاشر الذي اشتد ظلمه وجبروته وعامل الشعب معاملة قاسية دفعته إلى الثورة عليه وتم خلعه سنه ١٨٣٠ وأعقبه الملك لويس فيليب إبن دوق أورليان الذي حاول إقامة حكم ديمقراطي واهتم بحركة الاصلاح داخل فرنسا وفي عهده أسفرت المفاوضات بين حكومتي إنجلترا وفرنسا على الإتفاق على نقل جثمان نابليون



على سرير الموت

إلى فرنسا وأرسل الملك إبنه رئيساً للبعثة إلى سانت هيلانه ومعه معظم من كان حياً من رفقاء نابليون الذين قضوا معه مدة النفي وتحرسه سفينه حربيه فرنسية وبعد ثلاث شهور وصلوا الجزيرة ووجدوا جثة نابليون وعلى صدره الوشاح الأكبر كما وجدوا بين ساقيه قلبه موضوع في وعاء من الفضه وكان قد أوصى به لزوجته وحمل جثمانه إلى السفينة واطلقت ٣٠٠ طلقة من السفن الإنجليزية والفرنسية وفي فجر ١٥ ديسمبر سنه ١٨٤٠ كانت الموسيقى تصدح في كل مكان في باريس ثم سمعت أصوات المدافع كالرعد ودقت نواقيس جميع الكنائس واجتمع كل من بقى حياً من جنود نابليون تحت قوس النصر المشهور وانتهى الركب الإمبراطورى إلى سراى الأنفاليد التي تضم مفاخر فرنسا الحربية والتي تقرر أن يوضع فيها جثمان الإمبراطور وتقدم رئيس البعثة إلى الملك قائلاً « مولاى صاحب الجلالة أقدم لك جثمان الإمبراطور نابليون ! فأجابه الملك بصوتْ جمهوري « باسم فرنسا أتقبله » وتحققت رغبه نابليون فرقدت رفاته على ضفاف نهر السين بين ذلك الشعب الفرنسي الذي أحبه حباً كبيراً .

ولاتزال إلى اليوم شخصية نابليون بونابرت وحياته المليئة بالأحداث الجسام والأنتصارات والتسلق الإجتماعي والسياسي حتى أصبح إمبراطورا لفرنسا وسيداً مطلقاً لكل قارة أوربا ثم هزيمته الأولى ونفيه إلى جزيرة إلبا قبل هزيمته النهائية ونفيه وموته الغامض في جزيرة سانت هيلانه وقد أثبت طبيب الأسنان ستبرن فورشفور المتخصص في علم السموم والذي أثبت بتحليله لخصلات من شعر نابليون بيعت في مزاد بعد موت الإمبراطور أن نابليون سممه عميل لأسرة البربرن الملكيه الفرنسية وكان يعمل خادماً له في سانت هيلانه بالزرنيخ على مدى سبعة شهور .



الفهرس

الموضوع | الصفحة



يطلب من

دار الشـام للنشـر و التوزيـ

٩٤ ش عباس العقاد - مدينة نصر ت/ ٢٩٨٠٤